الوابل الصيب

من الكلم الطيب

لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١ هـ

حققه وخرج أحاديثه

عبد القادر الأرناؤوط و ابراهيم الأرناؤوط

مكتبة دار البيان

بشير عيون

ص. ب ٢٨٥٤ - دمشق

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م



ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . الله سبحانه وتعالى المسؤول المرجوُّ الاجابة أن يتولاكم في الدنيا والآخرة ، وأن يسبغَ عليكم نِعمَه ظاهرةً وباطنةً ، وأن يجعلكم ممن إذا أنعمَ عليه شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر . فإن هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد ، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه ، ولا ينفكُّ عبد عنها أبداً ، فإن العبد دائم التَّقَلُّب بين هذه الأطباق الثلاث .

الأول : نِعَمٌ من الله تعالى تترادف عليه ، فقيدها : الشكر . وهو مبني على ثلاثة أركان : الاعتراف بها باطناً ، والتحدث بها ظاهراً ، وتصريفها في مرضاة وليها ومسديها ومعطيها . فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها .

الثاني : مِحَنٌ من الله تعالى يبتليه بها ، ففرضه فيها الصبر والتسلي . والصبرُ : حبسُ النفس عن التَّسَخُّط بالمقدور ، وحبسُ اللِّسان عن الشكوى وحبسُ الجوارح عن المعصية ، كاللطم ، وشق الثياب ، ونتف الشعر ونحوه .

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة ، فإذا قام به العبد كما ينبغي

انقلبت المحنة في حقه منحة ، واستحالت البلية عطية ، وصار المكروه محبوباً . فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فإن لله تعالى على العبد عبوديةً في الضراء ، كما له عبودية في السراءِ ، وله عبودية عليه فيما يكره ، كما له عبوديه فيما يحب ، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون . والشأن في إعطاء العبودية في المكاره ، ففيه تفاوت مراتب العباد ، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى .

فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية ، ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية ، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية ، هذا والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية ، وتركه المعصيـة التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوف من الناس عبودية ، ونفقته في الضراء عبودية ، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين .

فمن كان عبداً لله في الحالتين ، قائماً بحقه في المكروه والمحبوب ، فذلك الذي تناوله قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) [الزمر : ٢٥] وفي القراءة الأخرى : (عبادَه) ، وهما سواء ، لأن المفرد مضاف ، فيعم عموم الجمع .

فالكفاية التامة مع العبودية التامة ، والناقصه مع الناقصة ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان .

قال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) [الحجر : ٢٢].

ولما علم عدوُّ الله إبليس أن الله تعالى لايسلم عباده إليه ، ولا يسلِّطه عليهم قال : (فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين ، إلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) [ص : ٨٢] . وقال تعالى : (ولَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤمِنِيْنَ . ومَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤمِنُ بالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا في شَكٍّ) [سبأ : ٢١] فلم يجعل لعدوه سلطاناً على عباده المؤمنين ، فإنهم في حرزه وكلاءته ، وحفظه وتحت كنفه ، وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل ، فهذا لا بد منه ، لأن العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب ، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة ، ولو احترز العبد ما احترز ، فلا بد له من غفلة ، ولا بد له من شهوة ، ولا بد له من غضب ، وقد كان آدم أبو البشر ﷺ من أحلم الخلق ، وأرجحهم عقلاً ، وأثبتهم ، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه ، فما الظن بفراشة الحلم ، ومن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ؟ ولكن عدو الله لا يخلص إلى المؤمن إلا غِيلة على غرة وغفلة ، فيوقعه ، ويظن أنه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها ، وأن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته ، وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله .

فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب التوبة ، والندم ، والانكسار ، والذل ، والافتقار ، والاستعانة به ، وصدق اللجأ اليه ، ودوام التضرع ، والدعاء ، والتقرب اليه بما أمكن من الحسنات ماتكون تلك السيئة به سبب رحمته ، حتى يقول عدو الله : يا ليتني تركته ولم أوقعه .

وهذا معنى قول بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار . قالوا : كيف ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصبَ عينيه خائفاً منه مُشفِقاً وَجِلاً باكِياً نادماً مُستَحِياً من ربه تعالى ، ناكس الرأس بين يديه ، منكسر القلب له ، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة .

ويفعل الحسنة فلا يزال يَمنُّ بها على ربه ، ويتكبر بها ، ويرى نفسه ، ويعجب بها ، ويستطيل بها ، ويقول : فعلت ، وفعلت ، فيورثه من العجب والكبر ، والفخر والاستطالة ، ما يكون سبب هلاكه . فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيراً ابتلاه بأمر يكسره به ، ويذل به عنقه ، ويصغر به نفسه عنده ، وان أراد به غير ذلك ، خلاه وعجبه وكبره ، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه . فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق : أن لا يكِلَكَ الله تعالى الى نفسك ، والخذلان : أن يكِلَكَ الله تعالى الى نفسك . فمن أراد الله به خيراً فتح له باب الذل والانكسار ، ودوامَ اللجأ الى الله تعالى والافتقار اليه ، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها ، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ، ورحمته ، وجوده ، وبره وغناه ، وحمده .

فالعارف سائر الى الله تعالى بين هذين الجناحين ، لا يمكنه أن يسير إلا بهما ، فمتى فاته واحد منهما ، فهو كالطير الذي فقد أحد جناحيه .

قال شيخ الإسلام[1] : العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ، ومطالعة عيب النفس والعمل . وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح من حديث شداد بن أوس[2] رضي الله تعالى عنه : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللَّهمُ أنتَ ربي لا إله إلاَّ أنْتَ ، خلقتني ، وأنا عبدكَ ، وأنا على عهدِك ووعدِكَ ما استطعتُ ، أعوذُ بكَ منْ شَرِّ ما صنعتُ ، أبوءُ لكَ بنعمَتِك عليَّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، إنَّهُ لا يغفر الذنوبَ إلا أنتَ »[3] فجمع في قوله ﷺ : « أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي » مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل .

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والاحسان ، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار ، والافتقار ، والتوبة في كل وقت ، وأن لا يرى نفسه الا مفلساً ، وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس ، فلا يرى لنفسه حالاً ، ولا مقاماً ، ولا سبباً يتعلق به ، ولا وسيلة منه يمنُّ بها ، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف ، والافلاس المحض ، دخول من قد كسر الفقر

---

(١) يعني به شيخه تقي الدين أبا العباس أحمد بن تيمية رحمه الله .

(٢) في النسخ المطبوعة : بريدة ، وهو خطأ ، والتصحيح من نسخ البخاري والترمذي والنسائي .

(٣) رواه البخاري ٨٣/١١ في الدعوات باب أفضل الاستغفار ، وباب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم ٣٣٩٠ في الدعوات باب رقم ١٥ ، والنسائي ٢٧٩/٨ في الاستعاذة ، باب الاستعاذة من شر ما صنع .

والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة الى سويدائه ، فانصدع ، وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته الى ربه عز وجل ، وكمال فاقته وفقره اليه ، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة ، وضرورة كاملة الى ربه تبارك وتعالى ، وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك ، وخسر خسارة لا تجبر ، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته . ولا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية ، ولا حجاب أغلظ من الدعوى .

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها : حب كامل ، وذل تام . ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين ، وهما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام ، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة ، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته .

فصل

وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه . فاستقامة القلب بشيئين :

أحدهما : أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب ، فاذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره ، سبق حب الله تعالى حب ما سواه ، فرتب على ذلك مقتضاه ، وما أسهل هذا بالدعوى ، وما أصعبه بالفعل ، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

وما أكثر ما يقدِّم العبد ما يحبه هو ويهواه ، أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى ، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب ، ولا كانت هي المَلَكة المؤَمَّرة عليها ، وسنَّة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكِّد عليه محابه ، وينغِّصها عليه ، ولا ينال شيئاً منها إلا بنكد وتنغيص ، جزاءً له على إيثاره هواه وهوى من يعظمه من الخلق ، أو يحبه على محبة الله تعالى . وقد قضى الله تعالى قضاءً لا يردُّ ولا يدفع ، أن من أحب شيئاً سواه عذب به ولا بد ، وأن من خاف غيره سلط عليه ، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤماً عليه ، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه ، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

الأمر الثاني : الذي يستقيم به القلب : تعظيم الأمر والنهي ، وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي ، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه ، وقال سبحانه وتعالى : (مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وَقَاراً) [نوح : ١٣] قالوا في تفسيرها : ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة . وما أحسن ما قال شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي : هو أن لايعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ، ولا يحملا على علة تُوهِنُ الانقياد .

ومعنى كلامه : أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل : تعظيم أمره ونهيه ، وذلك لأن المؤمنَ يعرفُ ربَّهُ عزَّ وجلَّ برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس ، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه ، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتِّباعه ، وتعظيم نهيه واجتنابه ، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالاًّ

على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق ، وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر ، فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق ، وطلب المنزلة والجاه عندهم ، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي ، فهذا ليس فعله وتركه صادراً عن تعظيم الأمر والنهي ، ولا تعظيم الآمر الناهي ، فعلامة التعظيم للأوامر : رعايه أوقاتها وحدودها ، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها ، والحرص على تحينها في أوقاتها ، والمسارعة إليها عند وجوبها ، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها ، كمن يحزن على فوت الجماعة ، ويعلم أنه لو تقبّلت منه صلاته منفرداً ، فانه قد فاته سبعة وعشرون ضِعْفاً . ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة [قيمتها] سبعة وعشرون ديناراً ، لأكل يديه ندماً وأسفاً ، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف ، وألف ألف ، وما شاء الله تعالى ، فإذاً فوت العبد عليه هذا الربح قطعاً ، وكثير من العلماء يقول : لا صلاة له وهو بارد القلب ، فارغ من هذه المصيبة ، غير مرتاح لها ، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه ، وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى ، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه ، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ، ولكانت قرعة . وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته ، كلما كثر الجمع كان

أحب إلى الله عز وجل ، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة ، وأخرى ترفع درجة ، وكذلك فوت الخشوع في الصلاة ، وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبُّها ، فصلاة بلا خشوع ولا حضور ، كبدن ميت لا روح فيه ، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً ، أو جارية ميتة ؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها ، من ملك ، أو أمير ، أو غيره ، فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور ، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد - أو الأمة - الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه ، وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا ، ولا يثيبه عليها ، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في « السنن » و « مسند الإمام أحمد » وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها ، إلا ثلثها ، إلا ربعها ، إلا خمسها حتى بلغ عشرها »[1] .

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان ، والإخلاص ، والمحبة وتوابعها ، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفِّر الذنوب تكفيراً كاملاً ،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٧٩٦) في الصلاة باب ما جاء في نقصان الصلاة ، وأحمد في « المسند » ٣١٩/٤ و ٣٢١ من حديث عمار بن ياسر ، وإسناده حسن ، ولفظه : « إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها » .

والناقص بحسبه ، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة ، وهما : تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان ، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه . وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه : « إنَّ صوم يوم عرفة يكفر سنتين ، ويوم عاشوراء يكفر سنة »[1] قالوا : فإذا كان دأبه دائماً أنه يصوم يوم عرفة ، فصامه وصام يوم عاشوراء ، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟ وأجاب بعضهم عن هذا ، بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات ، ويا لله العجب ، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفِّرات كلِّها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض ، والتكفير بهذه مشروط بشروط ، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه .

فان علم العبد أنه جاء بالشروط كلِّها ، وانتفت عنه الموانع كلُّها ، فحينئذ يقع التكفير ، وأما عمل شملته الغفلة أو لأكثره ، وفقد الإخلاص الذي هو روحه ، ولم يقدِّره حق قدره ، فأي شيء يكفِّر هذا ؟

فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذي ينبغي له ظاهراً وباطناً ، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ، ولا مبطل يحبطه من عجب أو رؤية نفسه فيه ، أو يمنُّ به ، أو يطلب من العباد تعظيمه به ، أو يستشرف

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/٢٩٧ ، ومسلم رقم (١١٦٢) في الصيام باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وأبو داود رقم (٢٤٢٥) في الصوم باب في صوم الدهر .

بقلبه لمن يعظّمه عليه ، أو يعادي من لا يعظمه عليه ، ويرى أنه قد بخسه حقه ، وأنه قد استهان بحرمته ، فهذا أي شيء يكفّر !

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر ، وليس الشأن في العمل ، إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه .

فالرياء وإن دق محبط للعمل ، وهو أبواب كثيرة لا تحصر ، وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضاً موجب لكونه باطلاً ، والمنُّ به على الله تعالى بقلبه مفسد له ، وكذلك المن بالصدقة والمعروف ، والبر والإحسان والصلة مفسد لها ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾ [البقرة : ٢٦٤] وأكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التي تحبط الحسنات ، وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُم لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُم وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢] فحذَّر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض ، وليس هذا بردَّةٍ ، بل معصيةٌ تُحبط العملَ وصاحبُها لا يشعرُ بها ، فما الظّنُّ بمن قدَّم على قولِ الرسولِ ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه ؟ أليس هـذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟ ومن هذا قوله ﷺ : « مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ » (١) .

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٦ في مواقيت الصلاة باب من ترك العصر ، والنسائي ١/٢٣٦ في الصلاة باب من ترك صلاة العصر .

ومن هذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضي الله عنه لما باع بالعِينة[1] : إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ ، إلا أن يتوب .

وليس التبايعُ بالعِينة ردَّةً ، وإنما غايته أنه معصيةٌ ، فمعرفةُ ما يفسد الأعمال في حال وقوعها ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغي أن يفتش عليه العبد ، ويحرص على عمله ويحذره . وقد جـــاء في أثر معروف : إن العبد ليعمل العمل سراً لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى ، فيتحدث به ، فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، ثم يصير في ذلك الديوان على حسب العلانية ، فإن تحدث بـه للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله كما لو فعله لذلك .

فإن قيل : فإذا تاب هذا هل يعود إليه ثواب العمل ؟ قيل : إن كان قد عمله لغير الله تعالى ، وأوقعه بهذه النية ، فإنه لا ينقلب صالحاً بالتوبة ، بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه ، فيصير لا له ولا عليه . وأما إن عمله لله تعالى خالصاً ، ثم عرض له عجب ورياء ، أو تحدث به ، ثم تاب من ذلك وندم ، فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط . وقد يقـال : إنه لا يعود إليه ، بل يستأنف العمل . والمسألة مبنية على

---

(١) العينة : أن يبيع رجل سلعة لآخر بثمن إلى أجل مسمى ، ثم يشتريها منه نقداً بأقل من الثمن الذي باعها به . وفي الحديث « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » . رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من حديث ابن عمر ، وهو حديث صحيح .

أصل ، وهو أن الردة ، هل تحبط العمل بمجردها ، أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟ فيه للعلماء قولان مشهوران ، وهما روايتان عن الإمام أحمد رضي الله عنه . فإن قلنا : تحبط العمل بنفسها ، فمتى أسلم استأنف العمل وبطل ما كان قد عمل قبل الإسلام ، وإن قلنا : لا يحبط العمل إلا إذا مات مُرتَداً ، فمتى عاد إلى الإسلام عاد اليه ثواب عمله . وهكذا العبد إذا فعل حسنة ، ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة ،هل يعود إليه ثواب تلك الحسنة المتقدمة ! يخرج على هذا الأصل .

ولم يزل في نفسي من هذه المسألة ، ولم أزل حريصاً على الصواب فيها ، وما رأيت أحداً شفى فيها ، والذي يظهر ـ والله تعالى أعلم وبه المستعان ولا قوة الا به ـ أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ، ويكون الحكم فيها للغالب ، وهو يقهر المغلوب ، ويكون الحكم له ، حتى كأن المغلوب لم يكن ، فإذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته ، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة قد تربي وتزيد على الحسنة التي حبطت بالسيئة ، فإذا عزمت التوبة ، وصحت ، ونشأت من صميم القلب ، أحرقت ما مرت عليه من السيئات ، حتى كأنها لم تكن ، فإن التائب من الذنب لا ذنب له . وقد سأل حكيم ابن حزام رضي الله عنه النبي ﷺ عن عتاقة وصلة وبر فعله في الشرك : هل يُثابُ عليه ؟ فقال النبي ﷺ : « أسلمتَ على ما أسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ »[1] فهذا يقتضي أن الإسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التي

---

(١) رواه البخاري ٣/٢٣٩ في الزكاة باب من تصدق في الشرك ثم أسلم ، ومسلم رقم ١٢٣ في الايمان باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده .

كانت باطلة بالشرك ، فلما تاب من الشرك عاد اليه ثوابُ حسناتِه المتقدمة .
فهكذا اذا تاب العبد توبة نصوحا ، صادقة خالصة ، أحرقت ما كان قبلها من السيئات ، وأعادت عليه ثواب حسناته . يوضح هذا أنَّ السيئاتِ والذنوب هي أمراضٌ قلبية ، كما أن الحمَّى والأوجاع أمراضٌ بدنية ، والمريض اذا عوفي من مرضه عافية تامة ، عادت اليه قوته وأفضل منها حتى كأنه لم يضعف قط .

فالقوة المتقدِّمة بمنزلة الحسنات ، والمرض بمنزلة الذنوب ، والصحة والعافية بمنزلة التوبة ، وكما أن من المرضى من لا تعود اليه صحته أبداً لضعف عافيته ، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها ، ويعود البدن الى كماله الأول ، ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض ، حتى ربما كان مرض هذا سبباً لعافيته ، كما قال الشاعر :

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عواقِبُهُ ... وَرُبَّمَا صَحَّتِ الأَجْسَامُ بالعِلَلِ

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث . والله الموفق ، لا اله غيره ، ولا رب سواه .

فصل

وأما علامات تعظيم المناهي : فالحرص على التباعد من مظانِّها وأسبابها وما يدعو اليها ، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها ، كمن يهرب من

الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها ، وأن يدَع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه ، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسِّنها ويدعو اليها ، ويتهاون بها ، ولا يبالي ما ركب منها ، فإن مخالطة مثل هذا داعية الى سخط الله تعالى وغضبه ، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته .

ومن علاماتِ تعظيم النهي : أن يغضب لله عزَّ وجل إذا انتهكت محارمه ، وأن يجد في قلبه حزناً وكسرة إذا عصي الله تعالى في أرضه ، ولم يضطلع بإقامة حدوده وأوامره ، ولم يستطع هو أن يغير ذلك .

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي : أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافياً غير مستقيم على المنهج الوسط .

مثال ذلك : أن السُّنَّةَ وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر ، فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت ، أو مقاربة خروجه ، فيكون مترخصاً جافياً .

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة في شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ، ويفعل العبادة بتكرُّه وضجر ، فمن حكمة الشارع ﷺ : أن أمرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر ، فيصلي العبد بقلب حاضر ، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والإقبال على الله تعالى .

ومن هذا نهيه ﷺ أن يصلي بحضرة الطعام ، أو عند مدافعة البول

والغائط ، لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة ، ولا يحصل المراد منها ، فمن فقه الرجل في عبادته أن يقبل على شغله فيعمله ، ثم يفرغ قلبه للصلاة ، فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ، ونصب وجهه له ، وأقبل بكلِّيته عليه ، فركعتان من هذه الصلاة يغفَر للمصلي بهما ما تقدم من ذنبه .

والمقصود أن لا يترخص ترخصاً جافياً .

ومن ذلك أنه رخص للمسافر في الجمع بين الصلاتين عند العذر وتعذر فعل كل صلاة في وقتها لمواصلة السير ، وتعذر النزول أو تعسره عليه ، فإذا قام في المنزل اليومين والثلاثة ، أو أقام اليوم ، فجمعه بين الصلاتين لا موجب له لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة ، فالجمع ليس سنة راتبة كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع ، سواء وُجِدَ عذر أم لم يوجد ، بل الجمع رخصة ، والقصر سُنة راتبة ، فسنة المسافر قصر الرباعية ، سواء كان له عذر أو لم يكن ، وأما جمعه بين الصلاتين ، فحاجة ورخصة ، فهذا لون ، وهذا لون .

ومن هذا : أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة ، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التُخَمة والامتلاء ، فيتطلب ما يصرف به الطعام ، فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده ، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ، ويدع الطعام وهو يشتهيه ، وميزان ذلك قولِ النبي ﷺ : « ثُلُثٌ لطَعَامِه ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ

لنَفسِهِ »[1] . ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده .

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي ، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغالياً فيه حتى يفوت الوقت ، أو يردِّد تكبيرة الإحرام إلى أن تفوته مع الإمام قراءة الفاتحة ، أو يكاد تفوته الركعة ، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئاً من طعام عامة المسلمين خشية دخول الشبهات عليه .

ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العبَّاد الذين نقص حظهم من العلم ، حتى امتنع أن يأكل شيئاً من بلاد الإسلام ، وكان يتقوَّت بما يحمل إليه من بلاد النصارى ، ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك، فأوقعه الجهل المفرط ، والغلوُّ الزائد في إساءة الظن بالمسلمين ، وحسن الظن بالنصارى ، نعوذ بالله من الخذلان .

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لايعارضا بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشديد غال ، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه ، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما تقصير وتفريط ، وإما إفراطٌ وغُلُوٌّ ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين ، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه ، فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة ، فثبَّطه وأقعده ، وضربه

---

(١) رواه الترمذي رقم ٢٣٨١ في الزهد ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل وابن ماجه رقم ٣٣٤٩ في الأطعمة ، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع ، وصححه الترمذي ، وهو كما قال ، ورواه ابن حبان والحاكم ١٢١/٤ وصححه ووافقه الذهبي .

بالكسل والتواني والفتور ، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك ، حتى ربما ترك العبدُ المأمورَ جملة .

وإن وجد عنده حذراً وجدًّا ، وتشميراً ونهضة ، وأيس أن يأخذه من هذا الباب ، أمره بالاجتهاد الزائد ، وسوَّل له أن هذا لا يكفيك ، وهمتك فوق هذا ، وينبغي لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ، ولا تفطر إذا أفطروا ، وأن لا تَفْتُر إذا فَتَروُا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات ، فاغسل أنت سبعاً ، وإذا توضأ للصلاة، فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الإفراط والتعدِّي ، فيحمله على الغلوّ والمجاوزة وتعدِّي الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه ، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم : هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه ، وهذا بأن يجاوزه ويتعداه . وقد فتن بهذا أكثر الخلق ، ولا ينجي من ذلك إلا عِلمٌ راسخ ، وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط . والله المستعان .

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي : أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل ، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه ، ممتثلاً ما أمر به ، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر ، فان ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه ، كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين إلى التصوف ، فان الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره ، واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في

العبودية ، وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد ، فوضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية ، فان الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمي ، واختاره من بين سائر البرية ، وجعل قلبه محل كنوزه من الإيمان والتوحيد والاخلاص ، والمحبة والحياء ، والتعظيم والمراقبة ، وجعل ثوابه إذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله ، وهو النظر إلى وجهه ، والفوز برضوانه ، ومجاورته في جنته ، وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة ، وابتلاه بعدوه إبليس لا يفتر عنه ، فهو يدخل عليه من الأبواب التي هي من نفسه وطبعه ، فتميل نفسه معه ، لأنه يدخل عليها بما تحب ، فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد : ثلاثة مسلَّطون آمرون ، فيبعثون الجوارح في قضاء وطرهم ، والجوارح آلة منقادة ، فلا يمكنها إلا الانبعاث ، فهذا شأن هذه الثلاثة ، وشأن الجوارح ، فلا تزال الجوارح في طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا . هذا مقتضى حال العبد ، فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم به أن أعانه بجند آخر ، وأمده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذي يريد هلاكه ، فأرسل إليه رسوله ، وأنزل عليه كتابه ، وأيده بملَك كريم يقابل عدوه الشيطان ، فاذا أمره الشيطان بأمر ، أمره الملك بأمر ربه ، وبيَّن له ما في طاعة العدو من الهلاك ، فهذا يلم بـه مرة ، وهذا مرة ، والمنصور من نصره الله عز وجل ، والمحفوظ من حفظه الله تعالى .

وجعل له مقابل نفسه الأمَّارة نفساً مطمئنة ، إذا أمرته النفس الأمَّارةُ بالسوء ، نهته عنه النفس المطمئنة ، وإذا نهته الأمَّارة عن الخير ،

أمرته به النفس المطمئنة . فهو يطيع هذه مرة ، وهذه مرة ، وهو الغالب عليه منهما ، وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لا تقوم معه أبداً ، وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمّارة نوراً وبصيرة ، وعقلاً يرده عن الذهاب مع الهوى ، فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور : الحذر الحذر ، فان المهالك والمتالف بين يديك ، وأنت صيد الحرامية ، وقطاع الطريق إن سرت خلف هذا الدليل .

فهو يطيع الناصح مرة ، فيبين له رشده ونصحه ، ويمشي خلف دليل الهوى مرة ، فيقطع عليه الطريق ، ويؤخذ ماله ، وتسلب ثيابه، فيقول : ترى من أين أتيت ؟ والعجب أنه يعلم من أين أتي ، ويعرف الطريق التي قطعت عليه وأخذ فيها ، ويأبى إلا سلوكها ، لأن دليلها قد تمكن منه ، وتحكم فيه ، وقوي عليه ، ولو أضعفه بالمخالفة له ، وزجره إذا دعاه ، ومحاربته إذا أراد أخذه ، لم يتمكن منه ، ولكن هو مكَّنَهُ من نفسه ، وهو أعطاه يده ، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه ، فيباشره ثم يسومه سوء العذاب ، فهو يستغيث فلا يغاث ، فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الأمارة ، ثم يطلب الخلاص ، فيعجز عنه ، فلما أن بلي العبد بما بلي به ، أعين بالعساكر والعدد والحصون ، وقيل : قاتل عدوك وجاهده ، فهذه الجنود خذ منها ما شئت ، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها ، ورابط إلى الموت ، فالأمر قريب ، ومدة المرابطة يسيرة جداً ، فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل

إليك رسله ، فنقلوك إلى داره ، واسترحت من هذا الجهاد ، وفرق بينك وبين عدوك ، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت ، وسجن عدوك في أصعب الحبوس وأنت تراه .

فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه ، وأيس من الروح والفرج ، وأنت فيما اشتهت نفسك ، وقرت عينك ، جزاءً على صبرك في تلك المدة اليسيرة ، ولزومك الثغر للرباط ، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت ، وكأن الشدة لم تكن . فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه ، فليتدبر قوله عز وجل : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) [الأحقاف : ٣٥] وقوله عز وجل : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) [النازعات : ٤٦] وقوله عز وجل : (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ ، قال : إِنْ لَبِثْتُمْ الاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُم تَعْلَمُون) [المؤمنون : ١١٢] وقوله عز وجل : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ، يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ، إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً) [طه : ١٠٢] وخطب النبيُّ ﷺ أصحابه يوماً ، فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال ، وذلك عند الغروب قال : « إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى إِلاَّ كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هذا فِيمَا مَضَى مِنْهُ »[1] فليتأمل

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/١٣٣ من حديث عبد الله بن عمر ، و ٣/١٩ =

العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث ، وليعلم أي شيء حصل له من هـذا الوقت الذي قد بقي من الدنيا بأسرها ، ليعلم أنه في غرور وأضغـاث أحلام ، وأنه قد باع سعادة الأبـد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوي شيئاً ، ولو طلب اللهَ تعالى والدارَ الآخرة لأعطـاه ذلك الحظ هنيئاً موفوراً وأكمل منه ، كما في بعض الآثار :

ابن آدم ، بـع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعاً ، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعاً .

وقال بعض السلف : ابن آدم ، أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبـك من الآخرة أحوج . فإن بدأت بنصيبك من الدنيـا أضعت نصيبك من الآخرة ، وكنت من نصيب الدنيا على خطر ، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيـا فانتظمته انتظاماً .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول في خطبته : أيهـا الناس ، إنـكم لم تخلقوا عبثـاً ، ولم تتركوا سدى . وإن لـكم معاداً يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيـكم ، والفصل بينـكم ، فخـاب وشقي عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التي وسعت كل شيء ، وجنته التي عرضها السموات والأرض ، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف الله تعالى واتقى ، وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباقٍ ، وشقاوة بسعادة ، ألا ترون

= والترمذي رقم ٢١٩٢ في « الفتن » باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيـح ، وهو كما قال.

أنكم في أصلاب الهالكين ، وسيخلفه بعدكم الباقون ؟ ألا ترون أنكم في كل يوم تشيّعون غاديا رائحا إلى الله قد قضى نحبه ، وانقطع أمله ، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسّد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ؟.

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد في هذه المدة اليسيرة بالجنود ، والعدد ، والامداد ، وبين له بماذا يحرز نفسه من عدوه ، وبماذا يَفْتَكُّ نفسه إذا أسر . وقد روى الإمام أحمد رضي الله عنه ، والترمذي ، من حديث الحارث الأشعري ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أَمرَ يحيى بن زكريا ﷺ بخمسِ كلماتٍ : أن يعمل بها ، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها ، وأنه كادَ أن يُبطىء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : إنَّ الله تعالى أمركَ بخمسِ كلماتٍ لتعملَ بها ، وتأمر بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن آمرَهُم ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي وأعذب ، فجمع يحيى الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد ، وقعدوا على الشرف ، فقال : إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعْمَلَهُن ، وآمُرُكم أن تعمَلُوا بهن . أولهن : أن تعبدوا اللهَ ولا تُشركُوا به شيئاً ، وإنَّ مثلَ من أشركَ بالله كَمثلِ رجلٍ اشترى عبداً من خالصِ مالهِ بذهبٍ أو وَرِقٍ ، فقال له : هذه داري ، وهذا عملي ، فاعمل وأدِّ إليَّ ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده ، فأيُّكُم يرضى أن يكونَ عبدُه كذلك ؟ وإن الله أمركم بالصَّلاةِ ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصبُ وجهَهُ

لوجهِ عبده في صلاتـــه ما لم يلتفِتْ ، وأمركم بالصِّيَامِ ، فإن مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ في عِصَابةٍ ، معه صُرَّةٌ فيها مِسْكٌ ، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه ، وإن ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك ، وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يديه إلى عنقه ، وقدَّموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم ، وأمركم أن تَذْكُروا الله تعالى ، فإن مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ خرج العدو في أثره سراعاً ، حتى إذا أتى على حصن حَصينٍ ، فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى . قال النبي ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قِيد شِبْرٍ فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ، ومَن ادَّعى دعوى الجاهلية ، فانه من جثا[1] جهنم » فقال رجل : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ [قال : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم] فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح[2] .

فقد ذكر ﷺ في هذا الحديث العظيم الشأن ـ الذي ينبغي لكل

---

(١) الجثا : جمع جُثْوة بالضم ، وهو الشيء المجموع .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ٢٠٢ والترمذي رقم ٢٨٦٧ و ٢٨٦٨ في « الامثال » باب ما جاء في مثل الصيام والصلاة والصدقة ، وهو حديث صحيح ، صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما . وابن خزيمة ٤٨٣ تخ ٣/ ٢٠٣ ذهبي ١/ ٢٣٥

مسلم حفظه وتعقله - ما ينجي من الشيطان ، وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة في دنياه وأخراه ، فذكر مثل الموحد والمشرك : فالموحد كمن عمل لسيده في داره ، وأدى لسيده ما استعمله فيه ، والمشـــرك كمن استعمله سيده في داره ، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده ، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى ، ويتقرب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى .

ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده ، وكان أشد شيء غضباً عليه ، وطرداً له وإبعاداً ، وهو مخلوق مثله ، كلاهما في نعمة غيرهما ، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له ، ولا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يصرف السيئات إلا هو ، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ، ورحمته ، وتدبيره ، ورزقه ، ومعافاته ، وقضاء حوائجه ، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب ، والخوف ، والرجاء ، والحلف ، والنذر ، والمعاملة ، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر ، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟ وشواهد أحوالهم - بل وأقوالهم وأعمالهم - ناطقة بأنهم يحبون أنداده من الأحياء والأموات ، ويخافونهم ، ويرجونهم ، ويعاملونهم ، ويطلبون رضاهم ، ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ، ويخافون ، ويرجون ، ويهربون من سخطه ، وهـذا هو الشرك الذي لا يغفره الله عز وجل ، قال الله سبحانه وتعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء : ٤٨و١١٦] .

والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لا يغفر الله منه شيئاً ، وهو الشِّركُ به ، فان الله لا يغفر أن يشرَك به .

وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً ، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً ، فان الله تعالى يستوفيه كله .

وديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل ، فان هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً ، فانه يمحى بالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، ونحو ذلك ، بخلاف ديوان الشرك ، فانه لا يمحى إلا بالتوحيد ، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها .

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل ، حرَّم الجنةَ على أهله ، فلا تدخل الجنةَ نفس مشركة ، وإنما يدخلها أهل التوحيد ، فان التوحيد هو مفتاح بابها ، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها ، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به ، وأسنان هذا المفتاح هي : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، فأي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحاً صالحاً من التوحيد ، وركَّب فيه أسناناً من الأوامر جاء يوم القيامة إلى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لا يفتح إلا به ، فلم يعقه عن الفتح عائق ، اللهم إلا أن تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه

الدار بالتوبة والاستغفار ، فانه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها ، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده ، فلا بد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ، ويتطهر من درنه ووسخه ، ثم يخرج منها ، فيدخل الجنة ، فانها دار الطيبين لا يدخلها إلا طيب . قال سبحانه وتعالى : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم المَلاَئِكَةُ طَيِّبِين يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الجَنَّةَ) [النحل : ٣٢] وقال تعالى : (وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُها وقَالَ لهم خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر : ٧٣] ، فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذي يؤذن بأنه سبب للدخول ، أي : بسبب طيبكم قيل لكم : ادخلوها .

وأما النار ، فانها دار الخبث في الأقوال والأعمال ، والمآكل والمشارب ، ودار الخبيثين ، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض ، فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض ، ثم يجعله في جهنم مع أهله ، فليس فيها إلا خبيث .

ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طَيِّبٌ لا يَشِينُه خبث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خُبث وطِيبٌ ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب ، وهي الدار التي تفنى ، وهي دار العصاة ، فانه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد ، فانهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار ، فأدخلوا الجنة ، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخبث المحض .

وقوله في الحديث : « وأمركم بالصلاة ، فاذا صليتم ، فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت » الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان . أحدهما : التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى . والثاني : التفات البصر . وكلاهما منهي عنه . ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته ، فاذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه . وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال : « اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ »[1] وفي أثر : يقول الله تعالى : « إلى خير مني ، إلى خير مني » ؟ ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه ، مثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه ، وأقبل يناديه ويخاطبه ، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً ، وقد انصرف قلبه عن السلطان ، فلا يفهم ما يخاطبه به ، لأن قلبه ليس حاضراً معه ، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه ، فامتلأ قلبه من هيبته ، وذلت عنقه له ، واستحيى من ربه

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٦/٧ و ١٠٦ ، والبخاري ٢/١٩٤ في «الأذان» باب الالتفات في الصلاة ، وأبو داود رقم ٩١٠ في الصلاة باب الالتفات في الصلاة، والترمذي رقم ٥٩٠ في الصلاة باب ما جاء في الالتفات في الصلاة ، والنسائي ٣/٨ في السهو باب التشديد في الالتفات في الصلاة من حديث عائشة رضي الله عنها .

تعالى أن يقبل على غيره ، أو يلتفت عنه . وبين صلاتيهما كما قال حسان ابن عطية : إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل ، والآخر ساهٍ غافل . فاذا أقبل العبد على مخلوق مثله ، وبينه وبينه حجاب ، لم يكن إقبالاً ولا تقريباً ، فما الظن بالخالق عز وجل ؟

وإذا أقبل على الخالق عز وجل ، وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس،والنفس مشغوفة بها،ملأى منها،فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار ، وذهبت به كل مذهب ؟ والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فانه قد قام في أعظم مقام ، وأقربه وأغيظه للشيطان ، وأشده عليه،فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه ، بل لايزال به يعده ويمنّيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوّن عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها . فان عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد ، وقام في ذلك المقام ، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه ، فيذكّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة ، وأيس منها ، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ، ويأخذه عن الله عز وجل ،فيقوم فيها بلا قلب ، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته ، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه، وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة ، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه . فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس

بأثقال قد وضعت عنه . فوجد نشاطاً وراحة وروحاً ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنهـا قرة عينيه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها ، فالمحبون يقولون : نصلي فنستريح بصلاتنا ، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم : « يَا بلالُ أَرِحْنَا بالصَّلاةِ »[1] ، ولم يقل : أرحنا منها ، وقال ﷺ : « جُعِلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي ٱلْصَّلاَةِ »[2] فمن جعلت قرة عينه في الصلاة ، كيف تقر عينـه ﷺ بدونها ، وكيف يطيق الصبر عنها ؟

فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة ، هي التي تصعد ولها نور وبرهـان ، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل ، فتقول : « حَفِظَكَ اللهُ تعَـالى كمَا حَفِظْتَنِي » ، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها ، فإنها تلفُّ كما يلفُّ الثَّوْبُ الخَلَق ، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : « ضَيَّعَكَ اللهُ كمَا ضَيَّعْتَنِي » .

وقد روي في حديث مرفوع ، رواه بكر بن بشر ، عن سعيد بن سنان ، عن أبي الزاهرية ، عن أبي شجرة ، عن عبـد الله بن عمر[3]

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/٣٦٤ و ٣٧١ ، وأبو داود رقم ٤٩٨٥ و ٤٩٨٦ في الأدب ، باب صلاة العتمة ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥ ، والنسائي ٧/٦١ في عشرة النساء باب حب النساء ، وإسناده حسن .

(٣) في المطبوع : عبد الله بن عمرو ، وهو تحريف .

رضي الله عنهما يرفعه أنه قال : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُتِمُّ الوُضُوءَ إلىٰ أَمَاكِنِهِ ، ثُمَّ يَقُومُ إلىٰ الصَّلَاةِ في وَقْتِهَا فَيُؤَدِّيهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ وَقْتِهَا ، وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا ، وَمَعَالِمِهَا شَيْئاً ، إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْضَاءَ مُسْفِرَة يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا مَا بَيْنَ الخَافِقَيْنِ حَتَّى يُنْتَهى بِهَا إلىٰ الرَّحْمٰنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ قَامَ الى الصَّلَاةِ فَلَمْ يُكْمِلْ وُضُوءَهَا ، وَأَخَّرَهَا عَنْ وَقْتِهَا ، وَاسْتَرَقَ رُكُوعَهَا وسُجُودَهَا ومَعَالِمَهَا ، رُفِعَتْ عَنْهُ سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً ، ثُمَّ لَا تُجَاوِزُ شَعْرَ رَأْسِهِ تقولُ : ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي »[1] .

فالصلاة المقبولة ، والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به ، كانت مقبولة .

والمقبول من العمل قسمان :

---

(١) إسناده ضعيف جداً ، سعيد بن سنان وهو أبو مهدي الحمصي ، متروك ، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع ، كما قال الحافظ في « التقريب » . وفي الباب عن أنس ، رواه الطبراني في « الأوسط » ذكره الهيثمي في « المجمع » ١ / ٣٠٢ وقال : وفيه عباد بن كثير ، وقد أجمعوا على ضعفه ، وقال الحافظ في « التقريب » : متروك ، وقال أحمد : روى أحاديث كذب ، وعن عبادة بن الصامت عند الطيالسي رقم (٥٨٥) والطبراني في « الكبير » والبزار ، وفي سنده الأحوص ابن حكيم ، وهو مختلف فيه ، وراويه عن عبادة ، وهو خالد بن معدان لم يسمع منه ، فالحديث ضعيف .

أحدهما : أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ، ذاكر لله عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل حتى تقف قبالته ، فينظر الله عز وجل اليها ، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية ، وقد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب إليه ، أحبها ورضيها وقبلها .

والقسم الثاني : أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة ، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله ، فأركانه مشغولة بالطاعة ، وقلبه لاهٍ عن ذكر الله ، وكذلك سائر أعماله ، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله عز وجل ، لم تقف تجاهه ، ولا يقع نظره عليها ، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال ، حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز ، فيثيبه على ما كان له منها ، ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها .

فهذا قبوله لهذا العمل : إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين ، وإثابة الأول رضى العمل لنفسه ، ورضاه عن معاملة عامله ، وتقريبه منه ، وإعلاء درجته ومنزلته ، فهذا يعطيه بغير حساب ، فهذا لون ، والأول لون .

والناس في الصلاة على مراتب خمسة :

أحدها : مرتبة الظالم لنفسه المفرط ، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها .

الثاني : من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ،

لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة ، فذهب مع الوساوس والأفكار .

الثالث : من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد .

الرابع : من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها ، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها ، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها .

الخامس : من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ، ناظراً بقلبه إليه ، مراقباً له ، ممتلئاً من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به .

فالقسم الأول معاقب ، والثاني محاسب ، والثالث مكفَّر عنه ، والرابع مثاب ، والخامس مقرب من ربه ، لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة ، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا ، قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة ، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا ، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل : ارفعوا الحجب ، فإذا التفت قال : أرخوها ، وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره ، فإذا التفت إلى غيره ، أرخى الحجاب بينه وبين العبد ، فدخل الشيطان ، وعرض عليه أمور الدنيا ، وأراه إياها في صورة المرآة ، وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت ، لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب ، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب ، فإن فر إلى الله تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان ، فإن التفت حضر الشيطان ، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة .

فصل

وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه ، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة ، وأسره الهوى ، ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه ، كيف يخلص من الوساوس والأفكار ؟!

والقلوب ثلاثة :

قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير ، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه ، لأنه قد اتخذه بيتاً ووطناً ، وتحكَّم فيه بما يريد ، وتمكَّن منه غاية التمكن .

القلب الثاني : قلب قد استنار بنور الإيمان ، وأوقد فيه مصباحه ،

لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية ، فللشيطان هناك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع ، فالحرب دول وسجال .

وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم مَن أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة وتارة .

القلب الثالث : قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمان ، وانقشعت عنه حجب الشهوات ، وأقلعت عنه تلك الظلمات ، فلنوره في صدره إشراق ، ولذلك الاشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به ، فهو كالسماء التي حرست بالنجوم ، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق ، وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبَّد الملائكة ، ومستقرُ الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان ، وفيه أنوارها ، فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو ، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفة ، وقد مثل ذلك بمثال حسن .

وهو ثلاثة بيوت :

بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره .

وبيت للعبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره ، وليس جواهر الملك وذخائره .

وبيت خال صفر لا شيء فيه ، فجاء اللص يسرق من أحد البيوت ، فمن أيّها يسرق ؟

فإن قلت : من البيت الخالي ، كان محالاً ، لأن البيت الخالي ليس فيه شيء يسرق ، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها ، فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب ؟

وإن قلت : يسرق من بيت الملك ، كان ذلك كالمستحيل الممتنع ، فإن عليه من الحرس واليزَك [1] ما لا يستطيع اللص الدنو منه ، كيف وحارسه الملك بنفسه ، وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ما حوله ؟ فلم يبق للّص إلا البيت الثالث ، فهو الذي يشن عليه الغارات .

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل ، ولينزله على القلوب ، فانها على منواله .

فقلب خلا من الخير كله ، وهو قلب الكافر والمنافق ، فذلك بيت الشيطان ، قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكناً ومستقراً ، فأي شيء يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه ؟.

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته

---

(١) يزك ويسك (بالتركية) : بمعنى المنع والحظر والزجر .

والحياء منه ، فإيُّ شيطان يجترىء على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه ، فماذا يسرق ، وغايته أن يظفر في الأحايين منه بخطفة ونهب يحصل له على غرة من العبد وغفلة لا بد له منها ، إذ هو بشر ، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع .

وقد ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال : في بعض الكتب الالهية : « لست أسكن البيوت ، ولا تَسعني ، وأيُّ شيء يَسعني والسموات حشو كرسيَّ ؟ ولكن أنا في قلب الوادع التارك لكل شيء سواي » وهـذا معنى الأثر الآخر « ما وسعتني سمواتي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن[1] » . وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والإيمان به والتصديق بوعده ، وفيه شهوات النفس وأخلاقها ودواعي الهوى والطبع .

وقلب بين هذين الداعيين . فمرة يميل بقلبه داعي الايمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وإرادته وحده ، ومرة يميل بقلبه داعي الشيطان والهوى

---

(١) قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » ذكره الغزالي في « الاحياء » بلفظ : قال الله : لم يسعني ، وذكره بلفظ : ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع ، قال السخاوي : وقال العراقي : لم أر له أصلاً ، وكذا قال ابن تيمية : هو مذكور في الاسرائيليات ، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ، ونقل عن ابن الزركشي أن بعض أهل العلم قال : إنه حديث باطل ، وهو من وضع الملاحدة ، ونقله عنه العجلوني في « كشف الخفاء » وأقره عليه .

والطباع ، فهذا القلب للشيطان فيه مطمع ، وله منه منازلات ووقائع ، ويعطي الله النصر من يشاء (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) [آل عمران : ١٢٦] وهـذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه ، فيدخل اليـــه الشيطان ، فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به ، فان أسلحته هي الشهوات والشبهات والخيالات والأماني الـكاذبة ، وهي في القلب ، فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب ، فان كان عند العبد عدة عتيدة من الإيمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها ، انتصف من الشيطان ، وإلا فالدولة لعدوه عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فاذا أذن العبد لعدوه وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به ، فهو الملوم .

فَنَفْسَكَ لُمْ ولا تَلُمِ المطايا   ومُتْ كمداً فليس لك اعتذارُ

عدنا الى شرح حديث الحارث الذي فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه[1] :

قوله : ﷺ « وأمركم بالصيام فان مثل ذلك مثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك ، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحه ، وان ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك » .

إنما مثَّل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك ، لأنها مستورة عن العيون ، مخبوءة تحت ثيابه ، كعادة حامل المسك ، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق ، لا تدركه حواسهم ، والصائم هو الذي

(١) وقد مضى أول حديث الحارث في الصفحة ٢٥ .

صامت جوارحه عن الآثام ، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور ، وبطنه عن الطعام والشراب ، وفرجه عن الرفث ، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه ، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه ، فيخرج كلامه نافعاً صالحاً ، وكذلك أعماله ، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها مَن جالس حامل المسك ، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته ، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم .

هذا هو الصوم المشروع ، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب .

ففي الحديث الصحيح : « من لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّور والعَمَلَ به والجهل ، فليس لله حاجة ، أن يدع طعامه وشرابه[1] » وفي الحديث « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش[2] » .

فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام ، وصوم البطن عن الشراب والطعام ، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده ، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته ، فتصيّره بمنزلة من لم يصم .

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم ، هل هي في الدنيا ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٥٢/٢ و ٥٠٥ والبخاري ٣٩٤/١٠ في الأدب ، باب قول الله تعالى : (واجتنبو أقول الزور) وابن ماجه رقم ١٦٨٩ في الصيام ، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم .

(٢) رواه أحمد في «المسند» ٣٧٣/٢ وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ، ونسبه لابن خزيمة والحاكم والبيهقي ، وهو حديث صحيح .

أو في الآخرة ؟ على قولين . ووقـــع بين الشيخين الفاضلين أبي محمد [عزالدين] بن عبد السلام وأبي عمرو بن الصلاح في ذلك تنازع ، فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة ، وصنف فيه مصنفاً . ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا والآخرة . وصنف فيـه مصنفاً رد فيه على أبي محمد . وسلك أبو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان ، فانه في « صحيحه » بوّب عليه كذلك . فقال : « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عنـد الله تعالى من ريـح المسك » ثم ساق حديث الأعمش عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، والصيام لي ، وأنا أجزي به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريـح المسك[1] » ثم قال : « ذكـر البيان بأن خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة » ثم ساق حديثاً من حديث ابن جريـج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمـع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « قـال الله تبـارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصيام ، فانه لي ، وأنا أجزى به ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريـح المسك ، للصائم فرحتان : اذا أفطر فرح بفطره ،

---

(١) وهو حديث صحيـح ، ورواه أيضاً البخاري ١٠/٣١٠ في اللباس ، باب ما يذكر في المسك ، من طريق معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، ورواه بمعنـاه من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة البخاري ١٣/٣٨٩ في التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ومسلم رقم ١١٥١ في الصيام ، باب فضل الصيام .

واذا لقي الله تعالى فرح بصومه »[١] .

قال أبو حاتم : شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقاً بينهم وبين سائر الأمم ، وشعارهم في القيامة بصومهم ، طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ، ليعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل ، جعلنا الله تعالى منهم .

ثم قال : « ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم قد يكون أيضاً أطيب من ريح المسك في الدنيا » ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم ، فهو لي ، وأنا أجزي به ، يدع الطعام من أجلي ، والشراب من أجلي ، وأنا أجزي به ، وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقى ربه عز وجل ، ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك »[٢] .

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذي فيه تقييد الطيب بيوم القيامة .

قلت : ويشهد لقوله الحديث المتفق عليه « والذي نفسي بيده ما من مكلوم يكلم في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم في سبيله ـ إلا جاء يوم

---

(١) ورواه أيضاً البخاري ١٠١/٤ في الصوم ، باب هل يقول : إني صائم إذا شتم ، ومسلم رقم ١١٥١ في الصيام ، باب فضل الصيام .

(٢) وهو حديث صحيح ، وهو بنحوه عند مسلم رقم ١١٥١ .

القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك »[1] .

فأخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم في سبيل الله عز وجل بأنها كريح المسك يوم القيامة ، وهو نظير إخباره عن خلوف فم الصائم ، فإن الحس يدل على أن هذا دم في الدنيا ، وهذا خلوف له ، ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكاً يوم القيامة » .

واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره أبو حاتم في « صحيحه » من تقييد ذلك بوقت إخلافه ، وذلك يدل على أنه في الدنيا ، فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظرف ، وهو قوله : حين يخلف ، كان الخبر عنه ، وهو قوله : أطيب عند الله ، خبراً عنه في حال تقييده ، فإن المبتدأ إذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف ، كان الخبر عنه حال كونه مقيداً ، فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال إخلافه .

قال : وروى الحسن بن سفيان في « مسنده » عن جابر أن النبي ﷺ قال : « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً ... » فذكر الحديث ، وقال فيه : « وأما الثانية فإنهم يمسون وريح أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك »[2] . ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه وتأويلهم إياه

---

(١) رواه البخاري ٦/١٥ في الجهاد ، باب من يجرح في سبيل الله ، ومسلم رقم ١٨٧٦ في الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله .

(٢) وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ونسبه للبيهقي وقال : وإسناده مقارب .

بالثناء على الصائم والرضى بفعله ، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة ، حتى كأنه قد بورك فيه ، فهو موكل به ، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضى بفعله ، وإخراج اللفظ عن حقيقته ؟ وكثير من هؤلاء ينشيء للفظ معنى ، ثم يدَّعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له .

ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بأن مراده من كلامه كيت وكيت ، فإن لم يكن ذلك معلوماً بوضع اللفظ لذلك المعنى ، أو عُرف الشارع ﷺ وعادته المطردة أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى أو تفسيره له به ، وإلا كانت شهادة باطلة ، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم .

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك ، فمثَّل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم ، ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه ، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين ، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك ، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه ، وصفاته لا تشبه صفاتهم ، وأفعاله لا تشبه أفعالهم ، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب ، فيصعد إليه ، والعمل الصالح ، فيرفعه ، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا .

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال ، إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله في الرضى ، فإن قال : رضى ليس كرضى المخلوقين ، فقولوا : استطـــابة ليست كاستطابة المخلوقين ، وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب .

ثم قال : وأما ذكر يوم القيـامة في الحديث ، فلأنه يوم الجزاء ، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلباً لرضى الله تعالى ، حيث يؤمر باجتنابها ، واجتلاب الرائحة الطيبة ، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات ، فخص يوم القيامة بالذكر في بعض الروايات ، كما خص في قوله تعالى : (إنَّ ربَّهم بهم يومئذ لخبير) [العاديات : ١١] وأطلق في باقيها نظراً إلى أن أصل أفضليته ثابت في الدارين .

قلت : من العجب رده على أبي محمد بما لا ينكره أبو محمد ولا غيره ، فإن الذي فسر به الاستطابة المذكورة في الدنيا بثناء الله تعالى على الصائمين ورضاه بفعلهم ، أمر لا ينكره مسلم ، فان الله تعالى قد أثنى عليهم في كتابه ، وفيما بلّغه عنه رسوله ﷺ ورضي بفعله ، فان كانت هـــذه هي الاستطابة ، فيرى الشيخ أبو محمد [لا] ينكرها . والذي ذكره الشيخ أبو محمد أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك في اليوم الذي يظهر فيه طيب دم الشهيد ، ويكون كرائحة المسك ، ولا ريب أن ذلك يوم القيامة ، فـــان الصائم في ذلك اليوم يجيء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك ، كما يجيء المكلوم في سبيل الله عز وجل ورائحة دمه

كذلك ، لا سيما والجهاد أفضل من الصيام ، فان كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة ، فكذلك الصائم .

وأما حديث جابر : « فانهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك » ، فهذه جملة حالية ، لا خبرية ، فان خبر إمسائه لا يقترن بالواو ، لأنه خبر مبتدأ ، فلا يجوز اقترانه بالواو ، وإذا كانت الجملة حالية ، فلأبي محمد أن يقول : هي حال مقدَّرة ، والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها ، ولهذا لو صرح بيوم القيامة في مثل هذا ، فقال : « يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة » لم يكن التركيب فاسداً ، كأنه قال : « يمسون » وهذا لهم يوم القيامة .

وأما قوله : « لخلوف فم الصائم حين يخلف » فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ ، أو تأكيدله ، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه ، لا مجازه ولا استعارته ، وهذا كما تقول : جهاد المؤمن حين يجاهد ، وصلاته حين يصلي ، يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ، ويرفع بها درجته يوم القيامة ، وهذا قريب من قوله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[1] .

وليس المراد تقييد نفي الإيمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأفعال

---

(١) رواه البخاري ٨٦/٥ في المظالم ، باب النهي بغير إذن صاحبه ، ومسلم رقم ٥٧ في الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي .

فقط ، بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد إليه الإيمان ، بل هذا النفي مستمر إلى حين التوبة ، وإلا فما دام مصراً وإن لم يباشر الفعل ، فالنفي لاحق به ، ولا يزول عنه اسم الذم والأحكام المترتبة على المباشرة ، إلا بالتوبة النصوح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفصل النزاع في المسألة أن يقال : حيث أخبر النبي ﷺ بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة ، فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر ، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك ، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم في سبيله كرائحة المسك ، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه وتصير علانية ويظهر فيه قبح رائحه الكفار وسواد وجوههم ، وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون ، فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته ، وإن كانت تلك الرائحة كريهة للعباد ، فرب مكروه عند الناس ، محبوب عند الله تعالى ، وبالعكس ، فان الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم ، والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته أمره ورضاه ومحبته ، فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا ، فاذا كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد ، وصار علانية ، وهكذا سائر آثار الأعمال من الخير والشر .

وإنما يكمل ظهورها ويصير علانية في الآخرة ، وقد يقوى العمل ويتزايد ، حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد في الدنيا في الخير والشر ، كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة .

قال ابن عباس : إن للحسنة ضياءً في الوجه ، ونوراً في القلب ، وقوة في البدن ، وسَعَةً في الرزق ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وإن للسيئة سواداً في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبغضةً في قلوب الخلق .

وقال عثمان بن عفان : ما عمل رجل عملاً إلا ألبسه الله تعالى رداءه ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وهذا أمر معلوم يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم ، حتى إن الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة وإن لم يمس طيباً ، فيظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه ، والفاجر بالعكس ، والمزكوم الذي أصابه الهواء لا يشم لا هذا ، ولا هذا ، بل زكامه يحمله على الإنكار ، فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

فصل (١)

« وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفتدي منكم بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم » .

---

(١) في العود إلى شرح حديث الحارث بعد الذي تقدم منه ، وأوله في ص ٢٥ .

هذا أيضاً من الكلام الذي برهانه وجوده ، ودليله وقوعه ، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو ظالم ، بل من كافر ، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهلُ الأرض كُلُّهم مقرّون به ، لأنهم جرَّبوه .

وقد روى الترمذي في « جامعه » من حديث أنس بن مالك أن النبيَّ ﷺ قال : « إن الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء »[(١)] وكما أنها تطفىء غضب الرب تبارك وتعالى ، فهي تطفىء الذنوب والخطايا كما يطفىء الماء النار .

وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال : كنت مع رسول الله ﷺ في سفر ، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاةالرجل في جوف الليل شعار الصالحين »[(٢)] ، ثم تلا (تتجافى

---

(١) رواه الترمذي رقم ٦٦٤ في الزكاة ، باب نقل الصدقة ، وابن حبان رقم ٨١٦ « موارد » ، وفي سنده عبد الله بن عيسى الخزاز ، وهو ضعيف ، وفيه أيضاً عنعنة الحسن البصري ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي بعض النسخ : غريب ، وقد ثبت الحديث من طرق بلفظ : « إن صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء ».

(٢) جملة « شعار الصالحين » ليست في نسخ الترمذي المطبوعة التي بين أيدينا ، وقد ذكرها ابن الأثير في « جامع الأصول » وعزاها للترمذي ، ولعلها من زيادات رزين ، والله أعلم .

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) [السجدة : ١٦][١] .

وفي بعض الآثار : باكروا بالصدقة ، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة .

وفي تمثيل النبي ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله كفاية ، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى ، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه ، فتجيىء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه .

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد : « يَا معْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَلوْ منْ حُلِيِّكُن ، فَانِّي رَأَيْتُكُن أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ »[٢] وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار .

وفي « الصحيحين » عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْكُمْ منْ أَحدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُه رَبُّه ليسَ بَيْنَه وَبَيْنَه تَرْجُمَان ، فينظرُ أَيْمَنَ منه ، فلا يرى إلاَّ مـا قَدَّمَ ، وينظرُ أَشْأَمَ منه ، فلا يرى إلا ما قَدَّمَ ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلاَّ النَّار تِلْقَاءَ وجهه ، فَاتَّقُوا ٱلنَّارَ

---

(١) هو جزء من حديث طويل ، أخرجه الترمذي وغيره ، وهو حديث صحيح بطرقه .

(٢) رواه الترمذي رقم ٦٣٥ و ٦٣٦ في الزكاة ، باب في زكاة الحلي ، وهو حديث صحيح ، وهو في البخاري ومسلم ملفق من حديثين .

ولو بشقِّ تمرة »[1] .

وفي حديث أبي ذر أنه قال : سألت رسول الله ﷺ : ماذا ينجي العبد من النار ؟ قال : « الإيمان بالله ، قلت : يا نبي الله ، مع الإيمان عمل ؟ قال : « أَنْ تَرْضَخَ مِمَّا خَوَّلَكَ الله . أَوْ تَرْضَخَ مِمَّا رَزَقَكَ الله » قلت : يا نبي الله ، فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ ؟ قال : يَأْمُرُ بالمعروف وينهى عن المُنْكَر . قلت : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ قال : فلْيُعِن الأخْرَق . قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع ؟ قال : فَلْيُعِن مَظْلُوماً . قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يُعينَ مظلوماً ؟ قال : ما تريد أن تترك في صاحبك من خير ؟ ليُمْسِكَ أذاهُ عن الناس ، قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة ؟ قال : « ما من مُؤْمن يصيب خَصْلَةً من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى أدخلته الجنة » ذكره البيهقي في كتاب « شعب الإيمان »[2] .

وقال عمر بن الخطاب : ذكر لي أن الأعمال تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكم .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : ضربَ رسولُ الله ﷺ مَثَلَ البخيلِ وَالْمُتَصَدِّق كَمَثَلِ رجلين عليهما جُبَّتَانِ من حَدِيدٍ ، أو

---

(١) رواه البخاري ٣/٢٢٣ في الزكاة باب الصدقة قبل الرد ، ومسلم رقم ١٠١٦ في الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .

(٢) وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم بأخصر منه .

جُنَّتَــــان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثديِّهما وتراقيهما ، فجعلَ المتصدقُ كلما تصدَّقَ بصدقـةٍ انبسطت عنه حتى تغشّي أنامِلَهُ ، وتعفوَ أثره ، وجعلَ البخيلُ كلما هَمَّ بصدقة ، قلصت وأخذت كل حلْقة مكانها ، قال أبو هريرة : فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول باصبعه هكذا في جيبه ، فلو رأيته يوسعها ولا تتسع »[1] .

ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان ، ممنوعاً عن البر والخير ، كان جزاؤه من جنس عمله ، فهو ضيق الصدر ، ممنوع من الانشراح ، ضيق العطن ، صغير النفس ، قليل الفرح ، كثير الهم والغم والحزن ، لايكاد تقضى له حاجة ، ولا يعان على مطلوب .

فهو كرجل عليه جبة من حديد ، قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها ، وكلما أراد إخراجها ، أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها . وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو ، والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه ، وانفسح بها صدره ، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه ، فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح ، وقوي فرحه ، وعظم

---

(١) رواه البخاري ١٠/٢٢٧ و ٢٢٨ في اللباس باب جيب القميص من عند الصدر وغيره ، وفي الزكاة باب مثل البخيل المتصدق ، وفي الجهاد باب مـا قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب ، ومسلم رقم ١٠٢١ في الزكاة باب مثـــل البخيل المتصدق .

سروره ، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها ، لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها . وقد قال تعالى : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون) [الحشر : ٩ ـ والتغابن : ١٦] .

وكان عبد الرحمن بن عوف ـ أو سعد بن أبي وقاص ـ يطوف بالبيت ، وليس له دأب إلا هذه الدعوة : ربِّ قني شُحَّ نفسي ، ربِّ قني شُح نفسي . فقيل له : أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال : إذا وُقيت شح نفسي ، فقد أفلحت .

والفرق بين الشح والبخل ، أن الشح : هو شدة الحرص على الشيء ، والاحفاء في طلبه ، والاستقصاء في تحصيله ، وجشع النفس عليه ، والبخل : منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه ، فهو شحيح قبل حصوله ، بخيل بعد حصوله ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يدعو إلى البخل ، والشح كامن في النفس ، فمن بخل فقد أطاع شحه ، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره ، وذلك هو المفلح : (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

والسخي قريب من الله تعالى ، ومن خلقه ، ومن أهله ، وقريب من الجنة ، وبعيد من النار ، والبخيل بعيد من خلقه ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ، فجود الرجل يحببه إلى أضداده ، وبخله يبغضه إلى أولاده .

وَيُظْهِرُ عَيْبَ المَرْءِ في النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً سَخَاؤُه

تَغَطَّ بأثوابِ السَّخَاءِ فإنني أَرَى كُلَّ عيبٍ فالسَّخَاءُ غِطَاؤُه
وقارِنْ إذَا قارَنْتَ حرّاً فإنّما يزَينُ ويُزري بالفَتى قُرَناؤُه
وَأَقْلِلْ إذَا ما استطعَت قَوْلاً فإنَّهُ إذَا قلَّ قولُ المرْءِ قَلَّ خطَاؤُه [1]
إذَا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ صَدِيقُه وضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُه وسَمَاؤه
وأصبح لا يدري وإن كان حازِماً أَقُدَّامه خيرٌ له أمْ وَرَاؤُه
إذا المرءُ لم يختر صديقاً لنفسهِ فَنَادِ به في الناس هذا جَزَاؤُه

وحدُّ السخاء : بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة ، وليس – كما قال بعض من نقص علمه – : حد الجود : بذل الموجود ، ولو كان كما قال هذا القائل ، لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد الكتاب بذمهما ، وجاءت السنة بالنهي عنهما ، وإذا كان السخاء محموداً ، فمن وقف على حدِّه سمي كريماً ، وكان للحمد مستوجباً، ومن قصر عنه كان بخيلاً ، وكان للذم مستوجباً ، وقد روي في أثر : إن الله عز وجل أقسم بعزته ألاَّ يجاوره بخيل .

والسخاء نوعان :

فأشرفهما : سخاؤك عما بيد غيرك .

والثاني : سخاؤك ببذل ما في يدك .

فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً ، لأنه

(١) في « اللسان » الخطأ والخطاء : ضد الصواب .

سخا عما في أيديهم ، وهذا معنى قول بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرِّعاً ، وعن مال غيرك متورِّعاً .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : أوحى الله إلى إبراهيم ﷺ « أتدري لم اتخذتك خليلاً ؟ قال : لا ، قال : لأني رأيت العطاء أحب إليك من الأخذ » . وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله، فإنه يعطي ولا يأخذ ، ويطعِم ولا يطعَم ، وهو أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأحب الخلق إليه من اتصف بمقتضيات صفاته ، فإنه كريم يحب الكريم من عباده ، وعالم يحب العلماء ، وقادر يحب الشجعان ، وجميل يحب الجمال .

روى الترمذي في « جامعه » قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو عامر ، أخبرنا خالد بن الياس ، عن صالح بن أبي حسان ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : «إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أخبيتكم ولا تَشَبَّهوا باليَهُودِ » قال : فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال : حدَّثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ مثله ، إلا أنه قال : « فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ » هذا حديث غريب ، خالد بن الياس يضعف[1] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٢٨٠٠ في الأدب ، باب ما جاء في النظافة وفي سنده خالد بن إلياس أو إياس وهو متروك الحديث كما قال الحافظ في « التقريب » =

وفي الترمذي أيضاً في « كتاب البر » قال : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا سعيد بن محمد الوراق ، عن يحيى بن سعيد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « ٱلسَّخِيُّ قريبٌ من الله ، قريبٌ من الجنةِ ، قريبٌ من الناسِ ، بعيدٌ من النار ، والبخيلُ بعيدٌ من الله ، بعيدٌ من الجنةِ ، بعيدٌ من الناسِ ، قريب من النار ، ولَجاهلٌ سَخِيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى من عابد بخيل »[(١)] .

وفي الصحيح : « إنَّ اللهَ تعالى وِتْرٌ يحبُّ الوِتْرَ »[(٢)] .

وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء ، وإنما يرحم من عباده الرُّحماء ، وهو سِتِّير يحب من يستر على عباده ، وعفوٌّ يحب من يعفو

= وله شاهد عند الطبراني في « الأوسط » من حديث سعد بن أبي وقاص ، ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » بلفظ : « طهروا أفنيتكم ، فإن اليهود لاتطهر أفنيتها » قال المناوي في « فيض القدير » : قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني ، فالحديث حسن .

(١) رواه الترمذي رقم ١٩٦٢ في البر ، باب ما جاء في السخاء ، وسعيد بن محمد الوراق هو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لانعرفه من حديث يحيى بن سعيد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد ، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد ، إنما يروى عن يحيى بن سعيد عن عائشة مرسلاً .

(٢) رواه البخاري ١١/١٨٠ - ١٩٤ في الدعوات باب لله مائة اسم ، ومسلم رقم ٢٦٧٧ في الذكر باب في أسماء الله تعالى .

عنهم ، وغفورٌ يحب من يغفر لهم ، ولطيف يحب اللطيف من عباده ، ويبغض الفظَّ الغليظ القاسي الجعظريَّ[1] الجوَّاظ[2] ، ورفيق يحب الرفق ، وحليمٌ يحب الحلم ، وبَرٌّ يحب البر وأهله ، وعَدْلٌ يحب العدل ، وقابل المعاذير ، يحب من يقبل معاذير عباده ، ويجازي عبده بحسب هذه الصفات فيه وجوداً وعدماً ، فمن عفا عفا عنه ، ومن غفر غفر له ، ومن سامح سامحه ، ومن حاقق حاققه ، ومن رفق بعباده رفق به ، ومن رحم خلقه رحمه ، ومن أحسن إليهم أحسن إليه ، ومن جاد عليهم جاد عليه ، ومن نفعهم نفعه ، ومن سترهم ستره ، ومن صفح عنهم صفح عنه ، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ، ومن هتكهم هتكه وفضحه ، ومن منعهم خيره منعه خيره ، ومن شاق شاق الله تعالى به ، ومن مكر مكر به ، ومن خادع خادعه ، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة . فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه . ولهذا جاء في الحديث : « مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ تعالى في الدنيا والآخرة ، ومن نَفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ تعالى عنه كُرْبَةً مِنْ كَرَبِ يومَ القِيامةِ ، ومنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله تعالى حسابه »[3] . و « من أقال نادماً أقالَ الله

(١) الفظ الغليظ .

(٢) الضخم المختال .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٦٩٩ في الذكر باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، وأبو داود رقم ٤٩٤٦ في الأدب باب في المعونة للمسلم ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٥٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه في آخره: يسر الله عليه في الدنيا والآخرة .

تعالى عثرته »[1] ، و« من أَنْظَرَ مُعْسِراً أو وضع عنه ، أظله الله تعالى في ظل عرشه »[2] لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر ، ونجاه من حر المطالبة ، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه ، نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش .

وكذلك الحديث الذي في الترمذي وغيره ، عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته يوماً : « يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ ولَمْ يدْخل الإيمانُ إلى قلبِهِ ، لاَ تُؤْذُوا المسْلمِينَ ، وَلاَ تَتَّبعوا عَوْرَاتِهِم ، فإِنَّهُ منْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخيهِ يَتَّبِعِ اللهُ عورتَهُ ، وَمَنْ يتَّبع الله عورته يَفْضَحْهُ ولو في جوفِ بيته »[3] .

فكما تَدِينُ تُدان : وكن كيفَ شِئْتَ فان الله تعالى لك كما تكون أنت لَهُ ولعبادِهِ » .

ولما أظهر المنافقون الإسلام ، وأسرُّوا الكفر ، أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نوراً على الصراط ، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط ،

(١) رواه البيهقي في « السنن » وبمعناه رواه أحمد في « المسند » ٢/٢٥٢ ، وأبو داود رقم ٣٤٦٠ في البيوع باب في الاقالة ، وابن ماجه رقم ٢١٩٩ في التجارات باب الاقالة من حديث أبي هريرة ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/٤٢٧ ، ومسلم رقم ٣٠٠٦ في الزهد باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر .

(٣) رواه الترمذي رقم ٢٠٣٦ في البر باب ما جاء في تعظيم المؤمن وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب وروي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ نحو هذا .

وأسر لهم أن يطفىء نورهم ، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم .

وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه ، فان الله تعالى يظهر له في الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ، ويبطن له خلافها .

وفي الحديث : « من راءى راءى الله به ، ومن سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به »[1] .

والمقصود أن الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطي البخيل الممسك ، ويوسع عليه في ذاته ، وخلقه ، ورزقه ، ونفسه ، وأسباب معيشته ، جزاءً له من جنس عمله .

وقوله ﷺ : « وآمركم أن تذكروا الله تعالى ، فان مثلَ ذلك مثلُ رجلٍ خرج العدو في أثَرِهِ سِرَاعاً ، حتى إذا أتى إلى حصن حصين ، فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله » : فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة ، لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى ، وأن لا يزال لهجاً بذكره ،

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٩٨٦ في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ، من حديث ابن عباس ، ورواه البخاري ١١/٢٨٨ في الرقاق باب الرياء والسمعة ، ومسلم رقم ٢٩٨٧ في الزهد باب من أشرك في عمله غير الله من حديث جندب بن عبد الله ، ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث عبد الله بن مسعود .

فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فاذا غفل وثب عليه وافترسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر ، وانقمع ، حتى يكون كالوصع[١] وكالذباب ، ولهذا سمي (الوسواس الخناس) ، أي : يوسوس في الصدور ، فاذا ذكر الله تعالى خنس ، أي : كف وانقبض .

وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فاذا سها وغفل وسوس ، فاذا ذكر الله تعالى خنس .

وفي « مسند « الإمام أحمد» ، عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش[٢] بن أبي ربيعة ، أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « ما عَمِل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل »[٣] .

وقال معاذ : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بخير أعمالكم

---

(١) طائر أصغر من العصفور .

(٢) في النسخ المطبوعة : مولى عبد الله بن عباس ، وهو تصحيف ، والتصحيح من « مسند أحمد » و كتب الرجال .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٢٣٩/٥ بطوله عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله ابن عياش مرفوعاً ، وإسناده منقطع ، و كذلك رواه البيهقي وابن عبد البر عن معاذ مرفوعاً . ورواه مالك في « الموطأ » ٢١١/١ موقوفاً على معاذ ، وهو منقطع عنده أيضاً . قال المناوي في « فيض القدير » : وقد رواه الطبراني عن جابر يرفعه بسند رجاله رجال الصحيح .

وأزكاها عند مليكِكُم ، وأرفعِها في دَرَجاتِكم ، وخيرٍ لكم من إنفاق الذَّهب والفضَّةِ ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم» ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « ذكر الله عز وجل »[1] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة ، فمر على جبل يقال له : جُمْدَان ، فقال : سِيُروا ، هذا جُمْدان ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ » . قيل : وما المُفَرِّدُونَ يا رسول الله ؟ قال : « ٱلذَّاكِرُون اللهَ كثيراً والذَّاكرات »[2] .

وفي « السنن » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا مِنْ قَوْمٍ يقومونَ من مجلسٍ لا يذكرون الله تعالى فيه ، إلاَّ قاموا عن مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وكان عليهم حَسْرَةً »[3] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/٢٣٩ من حديث زياد بن أبي زياد عن معاذ ، وإسناده منقطع ، ورواه مالك في « الموطأ » ١/٢١١ موقوفاً على أبي الدرداء ، وإسناده منقطع ، وقد وصله أحمد في « المسند » ٥/١٩٥ ، والترمذي رقم ٣٣٧٤ في الدعوات ، وابن ماجه رقم ٣٣٩٠ في الأدب ، باب فضل الذكر ، والحاكم في « المستدرك » ١/٤٩٦ كلهم من حديث أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٧٦) في الذكر باب الحث على ذكر الله .

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٨٥٥ في الأدب باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٣٨٩ و ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٧ وإسناده حسن .

وفي رواية الترمذي : « ما جَلَسَ قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ، ولم يُصَلُّوا على نَبيِّهِمْ ، إلا كان عليهم تِرَةً ، فان شاءَ عَذَّبهم ، وإن شاء غَفَرَ لهم »[1] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن الأغرِّ أبي مسلم قال : أشهدُ على أبي هريرة وأبي سعيد ، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعدُ قومٌ في مجلس يذكرون اللهَ فيه إلا حَفَّتْهُم الملائِكَةُ ، وغَشِيَتْهم الرَّحْمَةُ ، ونزلت عليهم السَّكينةُ ، وذكرهُم اللهُ فيمن عنده »[2] .

وفي الترمذي عن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن أبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيام بكلِّها ، فأخبرني بما شئت أتشبَّث به ، ولا تكثر عليَّ فأنسى . وفي رواية : إن شرائعَ الإسلام قد كَثُرَتْ عليَّ ، وأنا قد كبرت ، فأخبرني بشيء أتشبَّثُ به . قال : « لا يزالُ لِسَانُكَ رَطْباً بذكر الله تعالى »[3] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٣٧٧ في الدعوات باب القوم يجلسون ولا يذكرون الله . وقال الترمذي : هذا حديث حسن وهو كما قال .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٠٠ في الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٢) في الدعوات باب فضل الذكر ، وابن ماجه رقم ٣٧٩٣ في الأدب باب فضل الذكر . وقال الترمذي : حديث حسن غريب وهو كما قال ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم ٢٣١٧ « موارد » والحاكم ٤٩٥/١ وصححه ووافقه الذهبي .

وفي الترمذي أيضاً عن أبي سعيد ، أن رسول الله ﷺ سئل : أي العبادِ أفضلُ وأرفَعُ دَرجةً عند الله يوم القيامة ؟ قال : «الذَّاكِرونَ اللهَ كثيراً » قيل : يا رسول الله ، ومِن الغازي في سبيل الله ؟ قال : « لو ضَربَ بسيفِه في الكفار والمشركين حتى يَنْكَسِرَ ويختَضِبَ دماً كانَ الذَّاكِرُ لله تعالى أفضل منه درجة »[(١)] .

وفي « صحيح البخاري » ، عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الذي يذكرُ رَبَّهُ ، والذي لا يذكرُ ربَّهُ ، مثلُ الحيِّ والميِّتِ »[(٢)] .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول اللهُ تبارك وتعالى : أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ، ذكرتهُ في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ، ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم ، وإن تقرَّبَ إليَّ شِبْراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً ، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعاً ، تقَرَّبْتُ منه باعاً ، وإذا أتاني يمشي ، أتيته هرولةً »[(٣)] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٣٧٣ في الدعوات باب رقم ٥ وإسناده ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب .

(٢) رواه البخاري ١١/١٧٥ و ١٧٦ في الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ، ومسلم رقم (٧٧٩) في صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته .

(٣) رواه البخاري ١٣/٤٢٨ في التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه ، ومسلم رقم ٢٦٧٥ في الذكر باب الحث على ذكر الله تعالى .

وفي الترمذي عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال: « حِلَق الذكر »[1] .

وفي الترمذي أيضاً عن النبي ﷺ ، عن الله عز وجل أنه يقول : « إنَّ عبدي كُلَّ عبدي الذي يذكرني وهو مُلاقٍ قِرْنَه »[2] .

وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد ، فإن الذاكر المجاهد ، أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل ، والذاكر بلا جهاد ، أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى .

فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون .

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الأنفال : ٤٥] فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً ، ليكونوا على رجاء من الفلاح ، وقد قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً) [الأحزاب : ٤١] وقال تعالى : (وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ) [الأحزاب : ٣٥] أي : كثيراً .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٥) في الدعوات ، باب رقم (٨٧) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٧٥) في الدعوات باب من أدعية الإجابة ، وإسناده ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بالقوي .

وقال تعالى : (فاذَا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُم فَاذْكُروا اللهَ كَذِكْرِكُم آباءَكُم أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً) [البقرة : ٢٠٠] .

ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه ، وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه ، لا له ، وكان خُسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله .

وقال بعض العارفين : لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنةً ، ثم أعرض عنه لحظة ، لكان ما فاته أعظم مما حصله . وذكر البيهقي عن عائشة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بابنِ آدَمَ لا يذْكُرُ اللهَ تعالى فيها إلا تَحَسَّرَ عليها يوم القيامة »[1] .

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضاً : « ليس تَحَسُّرُ[2] أهل الجنة إلا على سَاعَةٍ مَرَّتْ بهم لم يذكروا الله عزَّ وجل فيها »[3] .

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : « كَلَامُ ابن آدمَ كلُّه عليه لا له ، إلا أَمْراً بمعروف ، أَو نَهْياً عن منكر ، أو ذِكراً لِلهِ عَزَّ وجلَّ »[4] .

---

(١) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » وزاد نسبته لابن أبي الدنيا وقال : قال البيهقي : في هذا الاسناد ضعف ، غير أن له شواهد

(٢) في « الترغيب والترهيب » و « مجمع الزوائد » : ليس يتحسر ، وهو أصوب.

(٣) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ونسبه للطبراني . وقال : ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٤١٤) في الزهد باب رقم ٦٣ ، وابن ماجه رقم =

وعن معاذ بن جبل قال : سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « أَنْ تَموتَ ولِسَانُكَ رَطْبٌ من ذِكْرِ الله عَزَّ وجلَّ »[1] .

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : لكل شيء جِلاء ، وإن جلاءَ القلوبِ ذِكرُ الله عز وجل .

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « لكل شيء صقالة ، وإنَّ صقالةَ القلوبِ ذكرُ الله عز وجل ، وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذِكر الله عز وجل » قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال : « ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع »[2] . ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وجلاؤه بالذكر ، فانه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء . فاذا ترك صدىء ، فاذا ذكر جلاه .

= (٣٩٧٤) في الفتن ، باب كشف اللسان في الفتنة . وفي سنده أم صالح بنت صالح لايعرف حالها . ورواه أيضاً الحاكم والبيهقي في « الشعب » وقال الترمذي : حديث غريب ، وفي بعض النسخ : حسن غريب .

(١) رواه ابن حبان رقم ٢٣١٨ « موارد » ورواه أيضاً الطبراني وابن أبي الدنيا والبزار ، وهو حديث حسن .

(٢) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » وزاد نسبته لابن أبي الدنيا ، واسناده ضعيف ، وللشطر الثاني منه شاهد عند الطبراني من حديث معاذ ، وجابر .

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر . فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته ، كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدأه بحسب غفلته ، وإذا صدئ القلب ، لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه ، فيرى البـــاطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم ، فلم تظهر فيه صورة الحقـائق كما هي عليه .

فاذا تراكم عليه الصـــدأ واسود ، وركبه الران ، فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ، ولا ينكر باطلاً . وهذا أعظم عقوبات القلب. وأصل ذلك من الغفلة ، واتباع الهوى ، فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره .

قال تعالى : (وَلاَ تُطِـعْ مَنْ أَغْفَلْنَـا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) [الكهف : ٢٨] .

فاذا أراد العبد أن يقتدي برجل فالينظر : هل هو من أهل الذكر ، أو من الغافلين ؟ وهـل الحاكم عليه الهوى أو الوحي ؟ فان كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة ، كان أمره فرطاً .

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييـع ، أي : أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه ، وفسر بالإسراف ، أي : قد أفرط ، وفسر بالاهلاك ، وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة ، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفـات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه ، فان

وجده كذلك فليبعد منه ، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه ، بل هو حازم في أمره، فليتمسك بغرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر ربه ، كمثل الحي والميت .

وفي « المسند » مرفوعاً : « أَكْثِروا ذِكْرَ اللهِ تعالى حَتَّى يُقَالَ : مَجْنُونٌ »[1] .

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة :

إحداها : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية : أنه يرضي الرحمن عز وجل .

الثالثة : أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

الرابعة : أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة : أنه يقوّي القلب والبدن .

السادسة : أنه ينوّر الوجه والقلب .

السابعة : أنه يجلب الرزق .

الثامنة : أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

التاسعة : أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة . وقد جعل الله لكل شيء سبباً ، وجعل سبب

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/٦٨ و ٧١ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف

المحبة دوام الذكر ، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل ، فليلهج بذكره ، فانه الدرس والمذاكرة، كما أنه باب العلم ،فالذكر باب المحبة،وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم .

العاشرة : أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ولاسبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

الحادية عشرة : أنه يورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره ، أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله ، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه ، وملاذه ومعاذه ، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .

الثانية عشرة : أنه يورثه القرب منه ، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه ، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه .

الثالثة عشرة : أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة .

الرابعة عشرة : أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله ، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى ، بخلاف الغافل ، فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه .

الخامسة عشرة : أنه يورثه ذكر الله تعالى له ، كما قال تعالى : (فَاذْكُرُونِي

أَذْكُرْكُمْ) [البقرة : ١٥٢] ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً .

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : « مَنْ ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم »[(١)] .

السادسة عشرة : أنه يورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

السابعة عشرة : أنه قوت القلب والروح ، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته .

وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ، ثم التفت إليَّ وقال : هذه غدوتي ، ولو لم أتغدَّ الغداء سقطت قوتي ، أو كلاماً قريباً من هذا . وقال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر ، أو كلاماً هذا معناه .

الثامنة عشرة : أنه يورث جلاء القلب من صداه كما تقدم في الحديث . وكل شيء له صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوى ، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار ، وقد تقدم هذا المعنى .

---

(١) رواه البخاري ٣٢٥/١٣ و ٣٢٦ في التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ويحذركم الله نفسه) ومسلم رقم ٢٦٧٥ في الذكر باب الحث على ذكر الله تعالى .

التاسعة عشرة : أنه يحط الخطايا ويذهبها ، فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات .

العشرون : أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى ، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لاتزول إلا بالذكر .

الحادية والعشرون : أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده ، يذكر بصاحبه عند الشدة ، فقد روى الإمام أحمد في « المسند » عن النبي ﷺ أنه قال: « إنَّ ماتَذْكُرونَ مِنْ جَلالِ الله عز وجل من التَّهْليلِ والتَّكْبِيرِ والتَّحْمِيد يَتَعاطَفْنَ حول العَرْشِ لهن دَوِيٌّ كدويِّ النحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يحبُّ أحدكم أن يكون له ما يُذكَرُ به »[1] ؟ هذا الحديث أو معناه .

الثانية والعشرون : أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء ، عرفه في الشدة ، وقد جاء أثر معناه : أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى ، إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة ، قالت الملائكة : يا رب صوتٌ معروفٌ ، من عبدٍ معروفٍ . والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله ، قالت الملائكة : يا رب ، صوتٌ منكرٌ ، من عبدٍ منكرٍ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/٢٦٨ و ٢٧١ من حديث عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو أخيه ، هكذا رواه بالشك ، ورواته ثقات ، إلا أن رواية عون بن عبد الله عن أبيه مرسلة .

الثالثة والعشرون : أنه ينجي من عذاب الله تعالى ، كما قال معاذ رضي الله عنه . ويروى مرفوعاً : « ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى »[1] .

الرابعة والعشرون : أنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي ﷺ .

الخامسة والعشرون : أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل ، فإن العبد لابد له من أن يتكلم ، فان لم يتكلم بذكر الله تعالى ، وذكر أوامره ، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى .

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عوّد لسانه ذكر الله ، صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ، ترطّب بكل باطل ولغو وفحش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

السادسة والعشرون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين ، فليتخيَّر العبد أعجبهما إليه ، وأولاهما به ، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة .

السابعة والعشرون : أنه يسعد الذاكر بذكره ، ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أين ما كان . والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ، ويشقى به مجالسه .

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٦١) رقم (٣) .

الثامنة والعشرون : أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة ، فإن كان مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرةً وتِرة يوم القيامة .

التاسعة والعشرون : أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه ، والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف ، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل .

الثلاثون : أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين ، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « قال سبحانه وتعالى : من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »[1] .

الحادية والثلاثون : أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلّها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة ، بل لا يمكنه ذلك .

الثانية والثلاثون : أنه غراس الجنة ، فقد روى الترمذي في « جامعه »

---

(١) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص/٩٣ من حديث عمر . ورواه الترمذي رقم ٢٩٢٧ في ثواب القرآن باب رقم ٢٥ من حديث أبي سعيد الخدري ، وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للبخاري في خلق أفعال العباد ، والبيهقي من حديث عمر وجابر ، ولابن أبي شيبة من حديث عمرو بن مرة مرسلًا . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لَقيت ليلة أسري بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : يا محمد أَقْرِئ أُمَّتَكَ [مِنِّي] السَّلاَم ، وأخبرهم أن الجنةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الماءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا : سُبحانَ اللهِ ، والحمدُ لله ، ولا إِلهَ إلا الله ، والله أكبر ».
قال الترمذي : حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود[1] .

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير ، عن جابر عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ » قال الترمذي : حديث حسن صحيح[2] .

الثالثة والثلاثون : أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال .

ففي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قدِير ، في يومٍ مائةَ مرَّةٍ

(١) رواه الترمذي رقم ٣٤٥٨ في الدعوات باب رقم (٦٠) وفي سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي وهو ضعيف . وقال الترمذي : وفي الباب عن أبي أيوب ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٤٦٠ و ٣٤٦١ في الدعوات باب رقم (٦١) ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٣٥) وهو حديث حسن ، وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » وقال : رواه البزار بسند جيد .

كانت لهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لهُ مائَةُ حسَنةٍ ، ومُحِيَتْ عنهُ مائَةُ سَيِّئَةٍ ، وكانتْ لهُ حِرْزاً من الشيطان يومَه ذلكَ حتى يُمسي ، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلاَّ رَجُلٌ عمل أكثر منه ، ومَنْ قال : سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ في يومٍ مائةَ مرَّةٍ حُطَّتْ خطَايَاهُ وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن أقولَ : سبحانَ الله والحمدُ لله ، ولا إله إلا اللهُ ، واللهُ أكبر ، أَحبُّ إليَّ مما طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ »[2] .

وفي الترمذي من حديث أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَالَ حينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي : اللهم إني أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عرشِكَ ، وملائِكَتَكَ ، وجميعَ خَلْقِكَ ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إلهَ إلاَّ أنتَ ، وأن محمداً عبدُك ورسولُك ، أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ منَ النَّارِ ، ومَنْ قالها مرتين ، أعتقَ اللهُ نصفَهُ من النارِ ، ومن قالها ثلاثاً ، أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أرباعِهِ من النار ، ومن قالها أربعاً ، أعتقَهُ اللهُ تعالى من النار »[3] .

---

(١) رواه البخاري ١١/١٦٨ و ١٦٩ في الدعوات باب فضل التهليل وفي بدء الخلق باب صفة إبليس ، ومسلم رقم ٢٦٩١ في الذكر ، باب فضل التهليل والتسبيح .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٩٥) في الذكر باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٤٩٥ في الدعوات باب رقم (٨١) بلفظ : « من قال حين يصبح : اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك ، وملائكتك ، وجميع خلقك ، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك =

وفيه عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ قالَ حِيْنَ يُمسِي وَإِذَا أَصْبَحَ: رَضِيْتُ باللهِ رَبّاً، وَبالإِسلاَمِ دِينَاً، وبمحمدٍ ﷺ رَسُولاً، كَانَ حَقَّاً على اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ »[1].

وفي الترمذي: « من دخلَ السُّوقَ فقالَ: لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، لَهُ الملكُ ولهُ الحمدُ يُحيي ويميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِه الخَيْرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير، كتبَ اللهُ لهُ أَلْفَ أَلْفِ حسَنَةٍ، ومحا عنهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، ورفعَ لهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ »[2].

الرابعة والثلاثون: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: (ولاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُم أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) [الحشر: ١٩].

= ورسولك إلا غفر الله له ما أصاب في يومه ذلك، وإن قالها حين يمسي غفر الله له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب، والرواية التي ذكرها المصنف في هذا الحديث هي عند أبي داود رقم ٥٠٦٩ في الأدب باب ما يقول إذا أصبح، وهو حديث حسن بشواهده.

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣٣٧/٤ والترمذي رقم (٣٣٨٦) في الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وهو حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٤) في الدعوات باب ما يقول إذا دخل السوق، ورواه أيضاً ابن ماجه، وابن أبي الدنيا، والحاكم وغيره، وهو حديث حسن.

وإذا نسي العبد نفسه ، أعرض عن مصالحها ونسيها ، واشتغل عنها، فهلكت وفسدت ولا بد ، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه ، فأهمله ونسيه ، واشتغل عنه بغيره ، وضيع مصالحه ، فإنه يفسد ولا بد .

هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه ، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها ، واشتغل عن مصالحها ، وعطّل مراعاتها ، وترك القيام عليها بما يصلحها ؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان ، وهذا هو الذي صار أمره كله فرُطاً ، فانفرط عليه أمره ، وضاعت مصالحه ، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك . ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وأن لا يزال اللسان رطباً به ، وأن يتولى منزلة حياته التي لا غنى له عنها ، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك ، وبمنزلة الماء عند شدة العطش ، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد ، وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسموم .

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم ، فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده ؟ هذا هلاك لا بد منه، وقد يعقبه صلاح لا بد ، وأما هلاك القلب والروح ، فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها ، لكفى بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ، ونسيه في العذاب يوم القيامة ،

قال تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً . قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ) [طه : ١٢٦] ، أي : تنسى في العذاب كما نسيت آياتي ، فلم تذكرها ولم تعمل بها .

وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذي أنزله ، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه ، وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه ، وأسمائه ، وصفاته ، وأوامره ، وآلائه ، ونعمه ، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى ، فإن الذكر في الآية إما مصدر مضاف إلى الفاعل ، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة ، أي : مَنْ أعرض عن كتابي ولم يَتْلُه ، ولم يتدبره ، ولم يعمل به ، ولا فهمه ، فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مضيقة عليه منكدة معذباً فيها .

والضنك : الضيق والشدة والبلاء . ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة ، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ ، والصحيح : أنها تتناول معيشته في الدنيا وحاله في البرزخ ، فإنه يكون في ضنك في الدارين ، وهو شدة وجهد وضيق . وفي الآخرة ينسى في العذاب . وهذا عكس أهل السعادة والفلاح ، فان حياتهم في الدنيا أطيب الحياة ، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أفضل الثواب .

قال تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل : ٩٧] فهذا في الدنيا ، ثم قال :

(وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل : ٩٧] فهذا في البرزخ والآخرة . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [النحل : ٤١] . وقال تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) [هود : ٣] . فهذا في الآخرة .

وقال تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا ربكم ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ، وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ ، إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر : ١٠]

فهذه أربعة مواضع ذكر تعالى فيها أنه يجزي المحسن باحسانه جزاءين : جزاءً في الدنيا ، وجزاءً في الآخرة . فالإحسان له جزاءٌ معجَّل ولا بد ، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد . ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن: من انشراح صدره في انفساح قلبه وسروره ، ولذاته بمعاملة ربه عز وجل ، وطاعته ، وذكره ، ونعيم روحه بمحبته [(١)] وذكره وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه .

وما يجازى به المسيء : من ضيق الصدر ، وقسوة القلب ، وتشتته ، وظلمته ، وحزازاته ، وغمه ، وهمه ، وحزنه ، وخوفه [(٢)] ، وهذا أمر

---

(١) قد سقط من هنا جواب لو ، وأقله كلمة « لكفى » والأرجح أن المحذوف أكثر من ذلك لما يدل عليه العطف بعده .

(٢) خبر قوله « وما يجازى به المسيء » يعلم من القرينة في الجملة .

لايكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه ، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق : عقوبات عاجلة، ونار دنيوية وجهنم حاضرة ، والإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه ، والرضى به وعنه ، وامتلاء القلب من محبته ، واللهج بذكره ، والفرح والسرور بمعرفته : ثواب عاجل ، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه ألبتة .

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لايدخل جنة الآخرة .

وقال لي مرة : مايصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحت فهي معي لاتفارقني ، إنَّ حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ، ونحو هذا .

وكان يقول في سجوده وهو محبوس : « اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ما شاء الله .

وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه .

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : (فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُه فيه الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ) [الحديد : ١٣] .

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش ، وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب النـــاس عيشاً ، وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرّهم نفساً ،تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنـــا الأرض ، أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً وقوةً ويقيناً وطمأنينةً .

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فآتاهم من روحها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قواهم لطلبهـــا والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك مـا نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ؟

قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبةُ اللهِ تعالى ومعرفته وذِكره ، أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً .

وقال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إنْ كان أهلُ الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيب .

فمحبة الله تعالى ، ومعرفته ، ودوام ذكره ، والسكون إليــــه ، والطمأنينة إليه ، وإفراده بالحب ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والمعاملة ، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإراداته ، هو جنة الدنيا ،والنعيم الذي لايشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين .

وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرت عينه بالله ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله ، تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات .

وإنما يصدِّق هذا من في قلبه حياة ، وأماميت القلب ، فيوحشُك ماله ، ثُمَّ فاستأنس بغيبته مــــا أمكنك ، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به ، فأعطه ظاهرك ، وترحَّل عنه بقلبك ، وفارقه بسرِّك ، ولا تشغل به عما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لايجرُّ عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه ، وضيـاع وقتك عليك ، وضعف عزيمتك ، وتفرُّق همِّك .

فإذا بليت بهذا ـ ولا بد لك منه ـ فعامل الله تعالى فيه ، واحتسب عليه ما أمكنك ، وتقرَّب إلى الله تعالى بمرضاته فيه ، واجعل اجتماعك به متجراً لك ، لاتجعله خسارة ، وكن معه كرجل سائر في طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره ، فاجتهد أن تأخـــذه معك وتسير به ، فتحمله ولا يحملك ، فإن أبي ولم يكن في سيره مطمع ، فلا تقف معه بلا ركب

الدرب [1] ودعه ولا تلتفت إليه ، فانه قاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضن بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة ، فتؤخذ أو يطلع الفجر [2] أنى لك بلحاقهم .

الخامسة والثلاثون : أن الذكر يسيِّر العبد وهو في فراشه، وفي سوقه ، وفي حال صحته وسقمه ، وفي حـــال نعيمه ولذته ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، حتى إنه يسيِّر العبد وهو نائم على فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ، ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وحكي عن رجل من العُبَّاد : أنه نزل برجل ضيفاً ، فقام العابد ليله يصلي ، وذلك الرجل مستلق على فراشه ، فلما أصبحا قال له العابد : سبقك الركب ، أو كما قال ، فقال : ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب ، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محمل صحيح ، ومحمل فاسد ، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت ، فهو باطل ، وإنما محمله أن هذا المستلقي على فراشه علق قلبه بربه عز وجل ، وألصق حَبَّة قلبه بالعرش ، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة ، قد غاب عن الدنيا ومن فيها ،

---

(١) بياض في الأصل ، ولعله : فتنقطع .

(٢) بياض في الأصل ، ولعله : وقد فاتك الركب .

وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام ، أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه ، أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه ، وفي قلبه ما الله تعالى به عليم .

وآخر قائم يصلي ويتلو ، وفي قلبـه من الرياء والعجب ، وطلب الجاه ، والمحمدة عند الناس ، ما الله به عليم ، أو قلبه في وادٍ ، وجسمه في وادٍ ، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة ، فالعمل على القلوب ، لا على الأبدان ، والمعوَّل على الساكن ، لا على الأطلال ، والاعتبار بالمحرِّك الأول ، فالذكر يثير العزم الساكن ، ويهيِّج الحب المتواري ، ويبعث الطلب المبيِّت .

السادسة والثلاثون : أن الذِّكر نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ، ونور له في معاده ، يسعى بين يديه على الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى .

قال الله تعالى : (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُه فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) [الأنعام: ١٢٢] . فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره ، والآخر هو الغافل عن الله تعالى ، المعرض عن ذكره ومحبته ، والشأن كل الشأن ، والفلاح كل الفلاح ، في النور ، والشقاء كل الشقاء في فواته .

ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه ، وعظامه ، وعصبـه ، وشعره ، وبشره ، وسمعه ،

وبصره ، ومن فوقه ، ومن تحته ، وعن يمينه ، وعن شماله ، وخلفه ، وأمامه ، حتى يقول : « واجعلني نوراً »[1] فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور في ذرّاته الظاهرة والباطنة ، وأن يجعله محيطاً به من جميع جهاته ، وأن يجعل ذاته وجملته نوراً .

فدِين الله عز وجل نور ، وكتابه نور ، ورسوله نور ، وداره التي أعدها لأوليائه نور يتلألأ ، وهو تبارك وتعالى نور السماوات والأرض ، ومن أسمائه النور ، وأشرقت الظلمات لنور وجهه .

وفي دعاء النبي ﷺ يوم الطائف : « أعوذ بنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ ٱلظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، أَنْ يَحِلَّ عليَّ غَضَبُكَ ، أَوْ يَنْزِلَ بي سَخْطُكَ ، لكَ العُتْبى حَتَّى تَرْضى ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بكَ »[2] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ليس عند ربِّكم ليل ولا نهار ، نورُ السماوات من نور وجهه ، ذكره عثمان الدارمي .

وقد قال تعالى : (وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها) [الزمر : ٦٩].

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٦٣) في المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٢) قال الزرقاني في شرح « المواهب اللدنية »: أورده ابن إسحاق في « السيرة » ، ورواه الطبراني في كتاب « الدعاء » ، وكذا رواه في « معجمه الكبير » عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال : وهذا مرسل صحابي ، لأنه ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٦/٣٥ ، ونسبه للطبراني ، وقال : فيه محمد بن إسحاق ، وهو مدلس .

فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده ، وأشرقت بنوره الأرض ، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر ، فإن الشمس تكوَّر ، والقمر يخسف ، ويذهب نورهما ، وحجابه تبارك وتعالى النور .

قال أبو موسى [الأشعري] : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إنَّ اللهَ لاَ ينَامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إليهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ [عَمَلِ] النَّهارِ ، وعمل النهارِ قبلَ [عَمَلِ] اللَّيْلِ ، حِجَابُه النُّورُ ، لوْ كَشَفَهُ لأحرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انتَهى إليهِ بَصَرُهُ منْ خَلْقِهِ » ثم قرأ [1] : (أَنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ وَمَنْ حوْلَها) [النمل : ٨][2] .

فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره .

وهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل ، وكشف من الحجاب شيئاً يسيراً ، ساخ الجبل في الأرض ، وتدكدك ، ولم يقم لربه تبارك وتعالى .

وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى : (لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) [الأنعام : ١٠٣] قال : ذلك الله عز وجل ، إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء .

---

(١) القارىء : هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود راوي الحديث عن أبي موسى .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣٩٥/٤ و ٤٠١ و ٤٠٥ ، ومسلم رقم ١٧٩ في الايمان ، باب قوله عليه السلام : إن الله لاينام ، وابن ماجه رقم ١٩٥ و ١٩٦ في المقدمة .

وهذا من بديعِ فَهْمِهِ رضي الله تعالى عنه ، ودقيقِ فِطْنَتِهِ ، كيف وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يعلمه الله التأويل ، فالرب تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عَياناً ، ولكن يستحيل إدراك الأبصارِ له ، وإن رأته فالإدراك أمر وراء الرؤية ، وهذه الشمس - ولله المثل الأعلى - نراها ولا ندركها كما هي عليه ، ولا قريباً من ذلك ، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه (لا تدركه الأبصار) فقال : ألستَ ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : أفتدركها ؟ قال : لا ، قال : فالله تعالى أعظم وأجلُّ .

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور في قلب عبده مثلاً لا يعقله إلا العالمون ، فقال سبحانه وتعالى : (اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلىٰ نُور ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [النور : ٣٥] .

قال أُبيُّ بنُ كعب : مَثَلُ نورِهِ في قلب المسلم .

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به ، وذكره ، وهو نوره الذي أنزله إليهم ، فأحياهم به ، وجعلهم يمشون به بين الناس ، وأصله في قلوبهم ، ثم تقوى مادته ، فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم ، بل وثيابهم ودورهم ،

يبصره من هو من جنسهم ، وسائر الخلق له منكر ، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور ، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه ، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيـا ، فمنهم من نوره كالشمس ، وآخر كالقمر ، وآخر كالنجوم ، وآخر كالسراج ، وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه، يضيء مرة ، ويطفأ أخرى، إذا كانت هذه حال نوره في الدنيا ، فأعطي على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره ظهر له عياناً ، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت في الدنيا ، بل كان نوره ظاهراً ، لا باطناً ، أعطي نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهـاب .

وضرب الله عز وجل لهذا النور ، ومحله ، وحامله ، ومادتـه مثلاً بالمشكاة ، وهي الكوَّة في الحائط ، فهي مثل الصدر ، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج ، وحتى شبِّهت بالكوكب الدرِّيِّ في بيـاضه وصفائه ، وهي مثل القلب ، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ، فيرى الحق والهـدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة ، والشفقة برقَّته ، ويجاهد أعداء الله تعالى ، ويغلظ عليهم ، ويشتـد في الحق ، ويصلب فيه بصلابته ، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ، ولا تعارضها ، بل تساعدها وتعاضدها (أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح : ٢٩] وقال تعالى : (فَبِمَا رَحْمَـةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُم ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ القَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران : ١٥٩] وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ والْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيهِـمْ) [التوبة : ٧٣] .

وفي أثر : « القُلوبُ آنِيَةُ اللهِ تعالىٰ في أَرْضِهِ ، فَأَحبُّهَا إليْهِ أَرَقُّهَا وَأَصْلَبُهَا وَأَصْفَاهَا » .

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرفي نقيض . أحدهما : قلب حجري قاسٍ لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا برّ ، ولا له صفاء يرى به الحق ، بل هو جبار جاهل ، لا علم له بالحق ، ولا رحمة للخلق . وبإزائه قلب ضعيف مائي ، لا قوة فيه ، ولا استمساك ، بل يقبل كل صورة ، وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير في غيره ، وكل ما خالطه أثر فيه ، من قويٍّ وضعيف ، وطيِّبٍ وخبيث . وفي الزجاجة مصباح ، وهو النور الذي في الفتيلة ، وهي حاملته ، ولذلك النور مادة ، وهو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره ، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر ، حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار ، فهذه مادة نور المصباح .

وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن ، هو من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة ، وأبعدها من الانحراف ، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها ، لم تنحرف انحراف النصرانية ، ولا انحراف اليهودية ، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء ، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن .

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيىء بنفسه ، ثم خالط النار ، فاشتدت بها إضاءته ، وقويت مادة ضوء النار به ، كان ذلك نوراً على نور .

وهكذا المؤمن قلبه مضيء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ، ولكن لا مادة له من نفسه ، فجاءت مادة الوحي ، فباشرت قلبه ، وخالطت بشاشته ، فازداد نوراً بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه ، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثراً ، ثم يسمع الأثر مطابقاً لما شهدت به فطرته ، فيكون نوراً على نور ، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملاً ، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلاً ، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحي والفطرة .

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ، ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة ، فذكر سبحانه وتعالى نوره في السموات والأرض ، ونوره في قلوب عباده المؤمنين ، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب ، والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي والسفلي ، فهما نوران عظيمان ، أحدهما أعظم من الآخر ، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع ، لم يعش فيه آدمي ولا غيره ، لأن الحيوان إنما يتكوّن حيث النور ، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ، ولا يتكون ألبتة ، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي والإيمان ، وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد ، لا حياة له ألبتة ، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه .

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور ، كما في قوله عز وجل : (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُه فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) [الأنعام : ١٢٢] وكذلك قوله

عز وجل : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ ، وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) [الشورى : ٥٢] .

وقد قيل : إن الضمير في « جعلناه » عائد إلى الأمر ، وقيل : إلى الكتاب ، وقيل : إلى الإيمان ، والصواب : أنه عائد إلى الروح ، أي : جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نوراً ، فسماه روحاً لما يحصل به من الحياة ، وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة ، وهما متلازمان ، فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح ، وجدت الإضاءة والاستنارة ، وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة ، وجدت الحياة ، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح ، فهو ميت مظلم ، كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مُضْمَحِلّ .

فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين : المائي والناري معاً ، لما يحصل بالماء من الحياة ، وبالنار من الإشراق والنور ، كما ضرب ذلك في أول سورة البقرة في قوله تعالى [١] : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) [البقرة : ١٧] وقال : (ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ) ولم يقل : بنارهم . لأن النار فيها الإحراق [و]الإشراق ، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق ، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق .

---

(١) وهذا هو المثل الناري ، وسيأتي المثل المائي في الصفحة (٩٤) .

وكذلك حال المنافقين : ذهب نور إيمانهم بالنفاق ، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرِّها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا ، فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطَّلع على الأفئدة .

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا ، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به ، وهو حال المنافق عرف ثم أنكر ، وأقر ثم جحد ، فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى ، كما قال تعالى في حق إخوانهم من الكفار : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ [الأنعام : ٣٩] وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] ، وشبه تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ، لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم ، وصيامهم معهم ، وسماعهم القرآن ، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره ، قد شاهدوا الضوء ، ورأوا النور عياناً ، ولهذا قال تعالى في حقهم : ﴿ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٨] إليه ، لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبّسُوا به واستناروا ، فهم لا يرجعون إليه .

وقال تعالى في حق الكفار : ﴿ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون ﴾ لأنهم لم يعقلوا الاسلام ، ولا دخلوا فيه ، ولا استناروا به ، بل لايزالون في ظلمات الكفر ، صم بكم عمي ، فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً ، وإلى الإيمان وحقائقه منادياً ، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعياً ، وإلى

طريق الرشاد هادياً . لقد أسمع منادي الايمان لو صادف آذاناً واعيـــة ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوباً خالية ، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات ، فأطفأت مصابيحها ، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة ، فأغلقت أبواب رشدها ، وأضاعت مفاتيحها ، وران عليها كسبها ، فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل ، فلم تصغ بعده إلى الملام ، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنَّة والسهام ، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة ، وأسر الهوى والشهوة ، و « ما لجرح بميِّت إيلام »[(1)] .

والمثل الثاني المائي قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقـرة : ١٩] الصيب : المطر الذي يصوب من السماء ، أي : ينزل منها بسرعة ، وهو مثل القرآن الذي به حيـــاة القلوب ، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان ، فأدرك المؤمنين ذلك منه ، وعلموا ما يحصل به من الحياة التي لاخطر لهـــا ، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق ، وهو الوعيد والتهديد ، والعقوبات والمثلات التي حذر الله بها من خالف أمره ، وأخبر أنه منزِّلها بمن كذَّب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء ، والصبر على الأمر ، أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي بخلاف إرادتها ، فهي كالظلمات

---

(١) هو عجز بيت للمتنبي ، وصدره : من يهن يسهل الهوان عليه .

والرعد والبرق ، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق ، بل يستأنس لذلك ، ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب .

وأما المنافق ، فإنه عمي قلبه ، لم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقاً يكاد يخطَف البصر ، ورعداً عظيماً وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه ، فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله مشاهدة ذلك البرق ، وشدة لمعانه ، وعظم نوره ، فهو خائف أن يختطف معه بصره ، لأن بصره أضعف أن يثبت معه ، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف ، فإن أضاء له ما بين يديه مشى في ضوئه ، وإن فقد الضوء قام متحيراً لايدري أين يذهب ، ولجهله لايعلم أن ذلك من لوازم الصيِّب الذي به حياة الأرض والنبات ، وحياته هو في نفسه ، بل لايدرك إلا رعداً ، وبرقاً ، وظلمةً ، ولا شعور له بما وراء ذلك ، فالوحشة لازمة له ، والرعب والفزع لايفارقه .

وأما من أنس بالصيِّب ، وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، استأنس بذلك ولم يستوحش منه ، ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيِّب .

فهذا مثل مطابق للصيِّب الذي نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ليحيي به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن

الصيِّب من الماء حكمةً بالغة وأسباباً منتظمة نظمها العزيز الحكيم .

فكان حظ المنافق من ذلك الصيِّب سحابه ورعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ماوراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون ، وارتاب بما اطمأن به العالمون ، وشك فيما تيقَّنه المبصرون العارفون ، فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش نحو الظهيرة ، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد .

وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد ، وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ، جالت فيها وصالت ، وقامت بها وقعدت ، واتسع فيها مجالها ، وكثر بها قيلها وقالها ، فملأت الأسماع من هذيانها ، والأرض من دواوينها ، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء ، والقابلين منهم ، والقائمين بدعوتهم ، والمحامين عن حوزتهم ، والمقاتلين تحت ألويتهم ، والمكثرين لسوادهم .

ولعموم البلية بهم ، وضرر القلوب بكلامهم ، هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك ، وكشف أسرارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ، ولم يزل عز وجل يقول : (ومنهم . . ومنهم . . ومنهم ..) حتى انكشف أمرهم ، وبانت حقائقهم ، وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين ، فذكر في أوصاف المؤمنين ثلاث آيات ، وفي أوصاف الكفار آيتين ، وفي أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية ، لعموم

مظهرون الموافقة والمناصرة ، بخلاف الكافر الذي قد تأبد بالعداوة ، وأظهر السريرة ، ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته .

ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران في سورة الرعد في قوله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً) [الرعد : ١٧] فهذا هو المثل المائي ، شبَّه الوحي الذي أنزله بحياة القلوب ، بالماء الذي أنزله من السماء ، وشبه القلوب الحاملة له ، بالأودية الحاملة للسيل .

فقلب كبير يسع علماً عظيماً ، كوادٍ كبير يسع ماءً كثيراً ، وقلب صغير كوادٍ صغير يسع علماً قليلاً ، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها ، كما سالت الأودية بقدرها .

ولما كانت الأودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل ، فيحتمله السيلُ فيطفو على وجه الماء زبداً عالياً ، يمر عليه متراكباً ، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض ، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لايبقى منه شيء ، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض ، فيحيي به البلاد والعباد ، والشجر والدواب ، والغثاء يذهب جفاءً يجفى ، ويطرح على شفير الوادي .

فكذلك العلم والإيمان الذي أنزله في القلوب فاحتملته ، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة ، يطفو في أعلاها ، واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلب ، فلا يزال

ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاءً ، ويزول شيئاً فشيئاً ، حتى يزول كله ، ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص في جذر القلب يرده الناس ، فيشربون ويسقون ويمرعون[1] .

وفي « الصحيح » من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ مابَعَثَني اللهُ تعالى بهِ منَ الهُدى والعِلْم ، كمَثَلِ غَيْثٍ أصابَ أَرْضاً ، فكان منها طائفةٌ طَيِّبَةٌ ، قَبِلَت[2] الماءَ ، فأنبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثيرَ ، وكان منها طائفةٌ أجادِبُ أمْسَكَت الماءَ ، فسَقَى النَّاسُ وزَرَعُوا[3] ، وأصاب منها طائفةً أخرى ، إنما هي قِيعَانٌ ، لا تُمْسِكُ ماءً ، ولا تُنْبِتُ كلأً ، فذلك مثل من فَقُهَ [في] دِينِ اللهِ تعالى ، ونفعه بما بعثني الله به ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، ومثلُ من لم يرفع بذلِكَ رَأساً ، ولم يقبل هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ به »[4] .

فجعل النبي ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات :

---

(١) أي : ويخصبون . يقال : مرع الوادي ، يمرع مراعة : أخصب بكثرة الكلأ ، فهو مريع .

(٢) هذه عند مسلم ، وعند البخاري : قيلت ، وهي رواية ابن إسحاق بن راهويه في هذا الحديث . ومعنى قيلت : شربت ، والقيل : شرب نصف النهار ، يقال : قيلت الإبل ، أي : شربت في القائلة .

(٣) عند مسلم : ورعوا .

(٤) رواه البخاري ١/١٦٠ و ١٦١ في العلم ، باب فضل من علم وعلم ، ومسلم رقم ٢٢٨٢ في الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم .

الطبقة الأولى : ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوةً إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ ، فهؤلاء أتباع الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه - حقاً ، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت ، فقبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، فزكت في نفسها ، وزكا الناس بها .

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال الله تعالى فيهم : (واذْكُرْ عِبَادَنا إبْرَاهِيمَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ أُولي الأَيْدِي والأَبْصار) [ص : ٤٥] أي : البصائر في دين الله عز وجل ، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف ، وبالقوى يتمكَّن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه ، فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين والبصر بالتأويل ، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم ، واستنبطت منها كنوزها ، ورزقت فيها فهماً خاصاً ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد سئل : هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : لا والذي فَلقَ الحَبَّة وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه(١) .

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض ، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية ، فإنها حفظت النصوص ، وكان همها حفظها وضبطها ، فوردها الناس وتلقَّوْها منهم ، فاستنبطوا

---

(١) رواه البخاري في جملة حديث طويل ٢١٧/١٢ في الديات ، باب العاقلة .

منها ، واستخرجوا كنوزها ، واتَّجروا فيها ، وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات ، ووردوها كلٌّ بحسبه (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) [البقرة : ٦٠] وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي ﷺ : « نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ، ثُمَّ أَدَّاها كما سَمِعَها ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غيرُ فَقِيهٍ ، ورُبَّ حَامِلِ فقهٍ إلى من هو أَفْقَهُ مِنْه »[1] .

وهذا عبد الله بن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن ، مقدار ما سمع من النبي ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذي يقول فيه : سمعت ، ورأيت ، وسمع الكثير من الصحابة ، وبورك في فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علماً وفقهاً .

قال أبو محمد بن حزم : وجمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار ، وهي بحسب ما بلغ جامعها ، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر ، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس ، وقد سمع كما سمعوا ، وحفظ القرآن كما حفظوا ، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤/٨٠ و ٨٢ ، وابن ماجه رقم (٣٠٥٦) في المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، والحاكم ١/٨٧ وصححه ووافقه الذهبي من حديث جبير بن مطعم ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/١٨٣ ، والترمذي رقم ٢٦٥٨ في العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، وأبو داود رقم ٣٦٦٠ في العلم ، باب فضل نشر العلم ، وابن حبان رقم ٧٢ « موارد » من حديث زيد ابن ثابت . ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/٢٢٥ من حديث أنس ، وهو حديث صحيح .

للزرع ، فبذر فيها النصوص ، فأنبتت من كل زوج كريم : (ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ) [الجمعة : ٤] .

وأين تقع فتاوى ابن عباس ، وتفسيره ، واستنباطه ، من فتاوى أبي هريره وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه ، بل هو حافظ الأمة على الاطلاق : يؤدِّي الحديث كما سمعه ، ويدرسه بالليل درساً ، فكانت هِمَّته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه ، وهِمَّة ابن عباس مصروفة إلى التفقُّه والاستنباط ، وتفجير النصوص ، وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها .

وهكذا الناس بعده قسمان :

قسم حفاظ معتنون بالضبط ، والحفظ ، والأداء ، كما سمعوا ، ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه .

وقسم معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص، والتفقُّه فيها .

فالأول كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، وابن دارة .

وقبلهم : كبندار محمد بن بشار ، وعمرو الناقد ، وعبد الرزاق .

وقبلهم : كمحمد بن جعفر غندر ، وسعيد بن أبي عَرُوبة ، وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف ، واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص .

والقسم الثاني : كمالك ، والشافعي ، والأوزاعي ، وإسحاق ، والإمام أحمد بن حنبل ، والبخاري ، وأبي داود ، ومحمد بن نصر المروزي ،

وأُمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية ، فهاتان الطائفتان هما أُسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأساً .

وأما الطائفة الثالثة : وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً ، فلا حفظ ، ولا فهم ، ولا رواية ، ولا دراية ، ولا رعاية .

فالطبقة الأولى : أهل رواية ودراية .

والطبقة الثانية : أهل رواية ورعاية ، ولهم نصيب من الدراية ، بل حظهم من الرواية أوفر .

والطبقة الثالثة : الأشقياء، لا رواية ، ولا دراية ، ولا رعاية . (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) [الفرقان : ٤٤] ، فهم الذين يضيقون الديار ، ويغلون الأسعار ، إنْ هِمَّةُ أحدهم إلا بطنُه وفرجه ، فإن ترقَّت هِمَّته كان هَمُّه ـ مع ذلك ـ لباسه وزينته ، فإن ترقَّت هِمَّته فوق ذلك ، كان هَمُّه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية ، فإن ارتفعت هِمَّته عن نصرة النفس الغضبية ، كان هَمُّه في نصرة النفس الكلبية ، فلم يعطها ، إلى نصرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء [١] فان النفوس كلبية وسبعية وملكية .

---

(١) وقع في هذا النص تحريف في النسخة التي طبع عنها الكتاب ، ولم نستطع تقويمه ، ولم نعثر على نسخة خطية للكتاب تصحح مثل هذا التحريف .

فالكلبية : تقنع بالعظم ، والكِسرة ، والجيفة ، والعذرة .

والسبعية : لا تقنع بذلك ، بل بقهر النفوس ، تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل .

وأما الملكية : فقد ارتفعت عن ذلك ، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى ، فَهِمَّتُها العلم والإيمان ، ومحبة الله تعالى ، والإنابة إليه ، والطمأنينة به ، والسكون إليه ، وإيثار محبته ومرضاته ، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربِّها ووليِّها ، لا لتنقطع به عنه .

ثم ضرب سبحانه وتعالى مثلاً ثانياً ، وهو المثل الناري ، فقال : (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ٱبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) [الرعد : ١٩] ، وهذا كالحديد والنحاس ، والفضة والذهب وغيرها ، فانها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث ، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح ، ويبقى خالصها ، فهو الذي ينفع الناس .

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ، ورفع بهداه رأساً ، وحكم من لم يستجب له ، ولم يرفع بهداه رأساً ، فقال : (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [الرعد : ٢٠] .

والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور ، والموت حيث الظلمة ، فحياة الوجودين : الروحي والجسمي بالنور ، وهو مادة الحياة ،

كما أنه مادة الإضاءة ، فلا حياة بدونه ، كما لا إضاءة بدونه ، وكما أنه به حياة القلب ، فبه انفساحه وانشراحه وَسَعَتُه ، كما في الترمذي [1] عن النبي ﷺ : « إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ » قالوا : وما علامة ذلك ؟ قال : « الإِنَابَةُ إِلىٰ دَارِ الخُلُودِ ، وَالتَّجَافي عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِه » [2] .

ونور العبد هو الذي يصعد عمله وكَلِمُهُ إلى الله تعالى ، فان الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلا الطيب ، وهو نور ومصدر عن النور ، ولا من العمل إلا الصالح ، ولا من الأرواح إلا الطيبة ، وهي أرواح المؤمنين التي استنارت بالنور الذي أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور ، كما في « صحيح مسلم » ، عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « خُلِقَتِ الملائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَتِ الشَّيَاطِينُ منْ نَارٍ ،

---

(١) إذا أطلق الترمذي ، فهو صاحب السنن ، والحديث ليس عند الترمذي صاحب السنن ، وإنما هو عند الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » .

(٢) وهو حديث ضعيف ، ذكره الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » صفحة ١٢٥ و ١٢٦ من حديث ابن عمر بغير سند . وقد رواه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » ١/٣٠٥ في ترجمة خالد بن أبي كريمة ، من حديث خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور عن أبيه ، وإسناده منقطع ، وعبد الله بن المسور ، قال الذهبي في « الميزان » : قال أحمد وغيره : أحاديثه موضوعة ، وذكره البغوي في « تفسيره » من حديث عبد الله بن مسعود ، وإسناده ضعيف جداً ، ورواه ابن جرير ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر عن قتادة مرسلاً .

وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ »[1] .

فلما كانت مادة الملائكة من نور ، كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى ، وكذلك أرواح المؤمنين هي التي تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها ، فيفتح لها باب السماء الدنيا ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، إلى أن ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فتوقف بين يدي الله عز وجل ، ثم يأمر أن يكتب كتابه في أهل عليين .

فلما كانت هذه الروح روحاً زاكية طيبة نيِّرة مشرقة ، صَعِدَتْ إلى الله عز وجل مع الملائكة .

وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة ، فانها لا تفتح لها أبواب السماء ، ولا تصعد إلى الله تعالى ، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وتحتقرها ، لأنها أرضية سفلية ، والأولى علوية سماوية ، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هي منه ، وهذا مبين في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو عوانة الاسفراييني في « صحيحه » ، والحاكم وغيرهم ، وهو حديث صحيح[2] .

والمقصود : أن الله عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً ، وأعظم الخلق نوراً أقربهم إليه وأكرمهم عليه .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٩٦) في الزهد ، باب في أحاديث متفرقة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٧/٤ و ٢٨٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦ ، والحاكم ٣٧/١ — ٤٥ وهو حديث صحيح كما قال المؤلف .

وفي « المسند » من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَقَ خَلْقَهُ في ظُلْمَةٍ ، وَأَلْقى عليهم مِنْ نُورِهِ ، فمن أصابَ من ذٰلك النُّورِ اهْتدَى ، ومن أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فلذلك أقول : جفَّ القلمُ على عِلْمِ الله تعالى »[1] .

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان ، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته ، والله تعالى الموفق .

وهذا النور الذي ألقاه عليهم سبحانه وتعالى ، هو الذي أحياهم وهداهم ، فأصابت الفطرة منه حظَّها ، ولكن لما لم يستقلَّ بتمامه وكماله ، أكمله لهم ، وأتمه بالروح الذي ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام ، والنور الذي أوحاه إليهم ، فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذي حصل لها يوم إلقاء النور ، فانضاف نور الوحي والنبوة إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فأشرقت منه القلوب ، واستنارت به الوجوه ، وحييت به الأرواح ، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعاً واختياراً ، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها .

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل ، وهو نور الصفات العليا الذي يضمحل فيه كل نور سواه ، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدةً نسبتها إلى القلب نسبة المرئيات إلى العين ، ذلك لاستيلاء اليقين

---

(١) رواه أحمد في « المسند » رقم ٦٦٤٤ و ٦٨٥٤ ، والترمذي رقم ٢٦٤٤ في الايمان ، باب ماجاء في افتراق هذه الأمة ، والحاكم ١/٣١ وصححه ووافقه الذهبي .

عليها ، وانكشاف حقائق الإيمان لها ، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزاً ، وإلى استوائه عليه ، كما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه ، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ ، يدبِّر أمر المالك ، ويأمر وينهى ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويقضي وينفِّذ ، ويعزُّ ويذلُّ ، ويقلِّب الليل والنهار ، ويداول الأيام بين الناس ، ويقلب الدول ، فيذهب بدولة ، ويأتي بأخرى .

والرسل من الملائكه عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه بالأمر ، ونازل من عنده به ، وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات ،نافذة بحسب إرادته ، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء على الوجه الذي يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تقدُّم ولا تأُّخر ، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها ، في الأرض وما عليها وما تحتها ، وفي البحار والجو ، وفي سائر أجزاء العالم وذرَّاته ، يقلِّبها ويصرفها ، ويحدث فيها ما يشاء ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، ووسع كل شيء رحمة وحكمة ، ووسع سمعه الأصوات ، فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه ، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على كثرة حاجاتها ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرَّم بالحاح ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات ، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء ، فالغيب عنده شهادة ، والسر عنده علانية ، يعلم السر وأخفى من السر .

فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد ، وخطر بقلبه ، ولم تتحرك به

شفتاه ، وأخفى منه : ما لم يخطر بعد ، فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا ، له الخلق والأمر ، وله الملك والحمد ، وله الدنيا والآخرة ، وله النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، له الملك كله ، وله الحمد كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، شملت قدرته كل شيء ، ووسعت رحمته كل شيء ، وسعت نعمته إلى كل حي ﴿ يَسْأَلُه مَنْ فِي ٱلسَّمٰوات وَالأَرْض كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[الرحمن : ٢٩] : يغفر ذنباً ، ويفرِّج همَّاً ، ويكشف كرباً ، ويجبر كسيراً ، ويغني فقيراً ، ويُعَلِّمُ جاهلاً ، ويهدي ضالاًّ ، ويُرشِدُ حَيْرَانَ ، ويُغِيثُ لَهْفَانَ ، ويَفُكُّ عانياً ، ويُشبع جائِعاً ، ويَكْسُو عارياً ، ويَشفي مريضاً ، ويُعافي مبتلًى ، ويَقْبَلُ تَائِباً ، ويَجْزي مُحسناً ، وينصر مظلوماً ، ويقصم جباراً ، ويُقِيلُ عَثْرَةً ، ويستر عورةً ، ويؤمِّن من رَوْعة ، ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين ، لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، يمينه ملأى ، لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ، فإنه لم يغض ما في يمينه ، قلوب العباد ونواصيهم بيده ، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره ، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة ، والأرض باليد الأخرى ، ثم يهزُّهن ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئاً ، وأنا الذي أعيدها كما بدأتها ،

لا يتعاظمه ذنب أن يغفره ، ولا حاجة يسألها أن يعطيها ، لو أن أهل سمواته ، وأهـل أرضه ، وأول خلقه وآخرهم ، وإنسهم وجهنم ، كانوا على أتقى قلب رجل منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئـاً ، ولو أن أول خلقه وآخرهم ، وإنسهم وجنهم ، كانوا على أفجر قلبِ رجل منهم ، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً ، ولو أن أهل سمواته ، وأهل أرضـه ، وإنسهم وجنهم ، وحيهم وميتهم ، ورطبهم ويابسهم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوه ، فأعطى كلاً منهم ما سأله ، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة ، ولو أن أشجار الأرض كلها - من حين وجدت إلى أن تنقضي الدنيا - أقلام ، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد ، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد ، لفنيت الأقلام ، ونفـد المداد ، ولم تنفد كلمات الخالق تبـارك وتعالى . وكيف تفنى كلماته جل جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية ، والمخلوق له بداية ونهاية ، فهو أحق بالفناء والنفاد ؟ وكيف يفني المخلوق غير المخلوق ؟ هو الأول الذي ليس قبله شيء ، والآخر الذي ليس بعده شيء ، والظاهر الذي ليس دونه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، تبارك وتعالى ، أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمـد ، وأولى من شكر ، وأنصر من ابتغي ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأعفى من قدر ، وأكرم من قصد ، وأعدل من انتقم ، حلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن عِزَّته ، ومنعه عن حِكمته ، وموالاته عن إحسانه ورحمته .

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌ وَاجِبٌ   كَلاَّ وَلاَ سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِـعُ

إنْ عُذِّبُوا فَبِـعَدْلِهِ ، أَوْ نُعِّمُوا   فَبِـفَضْلِهِ، وهُوَ الكَرِيمُ الوَاسِعُ

هو الملك لا شريك له ، والفرد فلا ندَّ له ، والغني فلا ظهير له ، والصمد فلا وليد له ، ولا صاحبة له ، والعليُّ فلا شبيه له ، ولا سَمِيَّ له ، كلُّ شيء هالك إلا وجهه ، وكلُّ ملك زائل إلا ملكه ، وكل ظل قالص إلا ظله ، وكل فضل منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا بإذنه ورحمته ، ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته ، يُطاع فيشكر ، ويعصى فيتجاوز ويغفر ، كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ، وأخذ بالنواصي ، وسجَّل الآثار ، وكتب الآجال ، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، عطاؤه كلام ، وعذابه كلام ، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس : ٨٢] .

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات ، اضمحل عندها كل نور ، ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ، ولا تناله عبارة .

والمقصود : أن الذكر ينوِّر القلب والوجه والأعضاء ، وهو نور العبد في دنياه ، وفي البرزخ ، وفي القيامة ، وعلى حسب نور الإيمان في قلب العبد ، تخرج أعماله وأقواله ، ولها نور وبرهان ، حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعِدت إلى الله تبارك وتعالى كَنُورِ الشمس ، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على الله عز وجل ، وهكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط ، وهكذا يكون نور وجهه في القيامة ، والله تعالى المستعان وعليه الاتكال .

السابعة والثلاثون : أن الذكر رأس الأصول ، وطريق عامة الطائفة ، ومنشور الولاية ، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل ، فليتطهر ، وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد ، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء ، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شيء .

الثامنة والثلاثون : في القلب خَلَّة وفاقة لا يسدُّها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل ، فإذا صار الذكر شعار القلب ، بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة ، واللسان تبع له ، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ، ويفني الفاقة ، فيكون صاحبه غنياً بلا مال ، عزيزاً بلا عشيرة ، مهيباً بلا سلطان ، فاذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل ، فهو بضد ذلك ، فقير مع كثرة جِدَته ، ذليل مع سلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته .

التاسعة والثلاثون : أن الذكر يجمع المتفرِّق ، ويفرِّق المجتمع ، ويقرِّب البعيد ، ويبعد القريب ، فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته ، وهمومه وعزومه ، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتُّتها عليه ، وانفراطها له ، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه ، وعزمه وإرادته ، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم ، والغموم ، والأحزان ، والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه ، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره ، حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل ، ويفرِّق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان ، فإن إبليس لا يزال يبعث

له سرية بعد سرية ، وكلما كان أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى ، وأمثل تعلقاً به وإرادة له ، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة ، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر . وأما تقريبه البعيد ، فإنه يقرِّب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل ، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحصرها ، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا ، وتعظم في قلبه الآخرة ، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة ، فان الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا ، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة ، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر .

الأربعون : أن الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سِنَته ، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح والمتاجر ، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر ، وأحيا بقية عمره ، واستدرك ما فاته ، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر ، فان الغفلة نوم ثقيل .

الحادية والأربعون : أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون ، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر ، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها ، كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ، وهو أصل كل مقام ، وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها ، كما يبنى الحائط على أُسِّه ، وكما يقوم السقف على حائطه ، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ ، لم يمكنه قطع منازل السير ، ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم ، فالغفلة نوم القلب أو موته .

الثانية والأربعون : أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه ، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة ، فهي معيـــة بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق ، كقوله تعالى : (إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) [النحل : ١٢٨] ، (واللهُ مَعَ الصَّـــابِرِين) [البقرة : ٢٤٩] ، (وإنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت : ٦٩] (لاتَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا) [التوبة ٤٠] . وللذاكر من هذه المعيـة نصيب وافر ، كما في الحديث الإلهي : « أنا مَعَ عَبْدي ما ذَكَرَني وتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ »[1] .

وفي أثر آخر : « أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، فإني أحب التوابين ، وأحب المتطهرين ، وإن لم يتوبوا ، فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من المعايب » .

والمعية الحاصلة للذاكر معية لايشبهها شيء ، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لاتدركها العبارة ، ولا تنالها الصفة ، وإنما تعلم بالذوق ، وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدَث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى ، أو اتحاد يضاهي

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ٤١٧/١٣ ، ورواه مسنداً أحمـــد ٥٤٠/٢ ، وابن ماجه رقم ٣٧٩٢ في الأدب ، باب فضل الذكر ، وابن حبان رقم (٢٣١٦ « موارد » ، والحاكم ٤٩٦/١ وصححه ووافقه الذهبي .

به القائلين بوحدة الوجود ، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات ، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولا خلق وحق ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب ، والخلق المشبَّه هو الحق المنزّه ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

والمقصود : أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة ، وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر ، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ، ولج في باب الحلول والاتحاد ولابد .

الثالثة والأربعون : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل ، وقد تقدم أن من قال في يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومَه حتى يمسي ... الحديث[1] .

وذكر ابن أبي الدنيا ، عن الأعمش ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قيل لأبي الدرداء : إن رجلاً أعتق مائة نسمة . قال : إن مائة نسمة من مال رجل كثير ، وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار ، أن لايزال لسان أحدكم رطباً من ذكر الله عز وجل[2] .

(١) تقدم تخريجه ص ٧٦ .

(٢) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ونسبه لابن أبي الدنيا وقال : =

وقال ابن مسعود : لأن أُسبِّح الله تعالى تسبيحات أحب إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل .

وجلس عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، فقال عبد الله: « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » أحب إليَّ من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله عز وجل ، فقال عبد الله بن عمرو : لأن أجدَّ في طريق ، فأقولهن أحبُّ إليَّ من أن أحمل عددهن على الخيل في سبيل الله عز وجل .

وقد تقدَّم حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكم ، وأزكاها عند مَليكِكمُ وأرفعِها في درجاتكم ، وخيرٍ لكم من إنفاق الوَرِق والذهب ، وخيرٍ لكم من أن تَلقَوْا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « ذكر الله »[1] رواه ابن ماجه والترمذي ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد[2] .

الرابعة والأربعون : أن الذكر رأس الشكر ، فما شكر اللهَ تعالى من لم يذكره .

= هو موقوف بإسناد حسن . والفقرة الأخيرة منه ثبتت في المرفوع في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث عبد الله بن بسر بلفظ : « لايزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

(١) في المطبوع : اذكروا الله .

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢ .

وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم ، أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت عليَّ كثيراً ، فدلَّني على أن أشكرك كثيراً ، قال : اذكرني كثيراً ، فإذا ذكرتني كثيراً فقد شكرتني كثيراً ، وإذا نسيتني فقد كفرتني .

وقد ذكر البيهقي أيضاً في « شعب الإيمان » ، عن عبد الله بن سلام قال : قال موسى عليه السلام : يارب ، ما الشكر الذي ينبغي لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لايزال لسانك رطباً من ذكري ، قال : يارب إني أكون على حال أُجِلُّك أن أذكرك فيها . قال : وما هي ؟ قال : أكون جنباً ، أو على الغائط ، أو إذا بلت . فقال : وإن كان . قال : يارب ، فما أقول ؟ قال : تقول : « سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى ، وسبحانك وبحمدك فقني الأذى » .

قلت : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه[1] . ولم تستثن حالة من حالة ، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته . وأما في حال التخلِّي ، فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه ، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده مايدل على مزيد الاعتناء بالذكر ، وأنه لايخل به عند قضاء الحاجة وبعدها ، وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم : « بِسْمِ الله ، اللّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وجَنِّب الشَّيْطَان ما رَزَقْتَنَا »[2] . وأما عند نفس

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٧٣) في الحيض ، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢١٧/١ و ٢٢٠ و ٢٤٣ و ٢٨٣ و ٢٨٦ ، =

قضاء الحاجة ، وجماع الأهل ، فلا ريب أنه لايكره بالقلب ، لأنه لابد لقلبه من ذكر ، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه ، فلو كلِّف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال ، كما قال القائل :

يُرادُ من القَلْبِ نِسيانُكُم وتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة ، فليس ممَّا شرَعَ لنا ، ولا ندبنا إليه رسولُ الله ﷺ ، ولا نُقِل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وقال عبد الله بن أُبي الهذيل[1] : « إنَّ الله تعالى لَيُحِبُّ أن يُذكَرَ في السَّوقِ ، ويحبُّ أن يذكرَ على كُلِّ حالٍ ، إلاَّ على الخَلاءِ » .

ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء ، والمراقبة ، والنعمة عليه في هذه الحالة ، وهي من أجلِّ الذكر ، فذكر كل حال بحسب مايليق بها . واللائق بهذه الحال ، التَّقنُّع بثوب الحياء من الله تعالى ، وإجلاله ، وذكر

= ورواه البخاري ٦/٢٤٠ في بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وفي الوضوء باب التسمية على كل حال وعند الوقاع ، وفي النكاح ، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله ، وفي التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى ، ومسلم رقم ١٤٣٤ في النكاح ، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ، وأبو داود رقم ٢١٦١ في النكاح ، باب في جامع النكاح ، والترمذي رقم ١٦٩٢ في النكاح ، باب ما يقول إذا دخل على أهله .

(١) هو عبد الله بن أبي الهذيل العنزي أبو المغيرة الكوفي ، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وعمار بن ياسر وابن مسعود وغيرهم . وروى عنه إسماعيل بن رجاء وواصل الأحدب والأجلح بن عبد الله الكندي وغيرهم .

نعمته عليه ، وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له الذي لو بقي فيه لقتله . فالنعمة في تيسير خروجه ، كالنعمة في التغذي به .

وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء ، مسح بطنه وقال : يا لَها نِعْمَةٌ لو يعلمُ النَّاسُ قدرها .

وكان بعض السلف يقول : الحمد لله الذي أذاقني لَذَّته ، وأبقى فيَّ منفعته ، وأذهب عني مضرَّتَهُ [(١)] . وكذلك ذِكْره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي منَّ بها عليه ، وهي أجلُّ نعم الدنيا . فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها ، هاج من قلبه هائج الشكر ، فالذكر رأس الشكر .

وقال النبيُّ ﷺ لمعاذ : « والله يا معاذ إني لأُحِبُّك ، فلا تَنْسَ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ : « اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ ، وشُكْرِكَ ، وحُسْنِ عِبَادَتِكَ » [(٢)] .

فجمع بين الذِّكْرِ والشُّكْر ، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى : ﴿ فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم ، واشْكُرُوا لي ولَا تَكْفُرُون ﴾ [البقرة:١٥٢] فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح .

---

(١) وورد بنحوه مرفوعاً ، رواه ابن السني من حديث ابن عمر ، وفي سنده ضعف وانقطاع ، وله شواهد بمعناه ذكرها ابن علان في « الفتوحات الربانية » ١/٤٠٥ فانظرها هناك .

(٢) رواه أبو داود رقم ١٥٢٢ في الصلاة ، باب الاستغفار ، والنسائي ٣/٥٣ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ، والطبراني في الدعاء ، وابن حبان في « صحيحه » .

الخامسة والأربعون : أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لايزال لسانه رَطْباً بذكره ، فإنه اتقاه في أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره .

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النـــار ، وهذا هو الثواب والأجر .

والذِّكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه ، وهـذه هي المنزلة .

وعمال الآخرة على قسمين : منهم من يعمل على الأجر والثواب ، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة ، فهو ينافس غيره في الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ، ويسابق إلى القرب منه ، وقد ذكر الله تعالى النوعين في سورة الحديد في قول الله تعالى : (إنَّ الْمُصَّدِّقِينَ والْمُصَّدِّقَاتِ وأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ ولَهُمْ أَجرٌ كَرِيمٌ) [الحديد : ١٨] ، فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب ، ثم قال : (والَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) [الحديد : ١٩] فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب ثم قال : (والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجرُهُمْ ونُورُهُمْ) [الحديد : ١٩] فقيل : هـذا عطف على الخبر من (الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ) ، أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون ، وأنهم الشهـداء الذين يشهدون على الأمم ، ثم أخبر عنهم أن لهم أجراً ، وهو قوله تعالى : (لَهُمْ أَجرُهُمْ ونُورُهُمْ) ، فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور :

أنهم صِدِّيقون ، وشهـداء . فهذه هي المرتبة والمنزلة . قيل : ثم

الكلام عند قوله تعالى : (الصِّدِّيقُونَ) ، ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال : (والشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِم لَهُمْ أَجْرُهُم ونُورُهُم) ، فيكون قد ذكر المتصدقين أهلَ البر والإحسان ، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان في قلوبهم وامتلؤوا منه ، فهم الصِّدِّيقون ، وهم أهل العلم والعمل ، والأوَّلُون أهل البرِّ والإحسان ، ولكن هؤلاء أكمل صِدِّيقيَّةً منهم .

ثم ذكر الشهداء ، وأنه تعالى يُجري عليهم رزقهم ونورهم ، لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها ، أن جعلهم أحياءً عنده يرزقون ، فيجري عليهم رزقهم ونورهم ، فهؤلاء السعداء .

ثم ذكر الأشقياء فقال : (والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآيَاتِنا أُولئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيم) [المائدة : ١٠ و ٨٦] .

والمقصود : أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الأجور والمراتب ، وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غَلَبُوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا : (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وإنَّكُمْ [إذاً] لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [الشعراء : ٤١] أي : أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندي والقرب مني .

فالعمال عملوا على الأجور ، والعارفون عملوا على المراتب والمنزلة والزلفى عند الله ، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك ، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء .

وذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى قال :

قال موسى عليه السلام : يا رب ، أيُّ خلقك أكرم عليك ؟ قال : الذي لا يزال لسانه رطباً بذكري . قال : يا رب ، فأي خلقك أعلم ؟ قال : الذي يلتمس إلى علمه علم غيره . قال : يا رب ، أي خلقك أعدل ؟ قال : الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس . قال : يا رب ، أي خلقك أعظم ذنباً ؟ قال : الذي يتَّهِمُني . قال : يا رب ، وهل يتهمك أحد ؟ قال : الذي يستخيرني ولا يرضى بقضائي .

وذكر أيضاً عن ابن عباس قال : لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال : يا رَبِّ ، أيُّ عِبادكَ أَحبُّ إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني .

وقال كعب : قال موسى عليه السلام : يَا رَبِّ ، أَقريبٌ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ ، أم بعيد فأناديك ؟ فقال تعالى : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني . قال : إني أكون على حال أُجلُّك عنها . قال : ما هي يا موسى ؟ قال : عند الغائط والجنابة . قال : اذكرني على كل حالٍ .

وقال عبيد بن عمير : تسبيحة بحمد الله في صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجري معه ذهباً .

وقال الحسن : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : سيعلم الجمع من أولى بالكرم ، أين الذين كانت : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ) [السجدة : ٣٢] ، قال : فيقومون فيتَخَطَّوْنَ رِقَابَ ٱلنَّاسِ . قال : ثم ينادي منادٍ : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الذين كانت : (لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ ولاَ بَيْعٌ

عنْ ذِكْرِ اللهِ)، قال : فيقومون ، فيتخطَّوْن رقاب الناس ، قال : ثم ينادي منادٍ : وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الحمَّادُون للهِ على كل حال ؟ قـال : فيقومون وهم كثير ، ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقي .

وأتى رجلٌ أبا مسلم الخولاني [1] فقال له : أوصني يا أبا مسلم ، قال : اذْكُرِ الله تعالى تحت كل شجرة ومَدَرَةٍ ، فقال : زدني ، فقال : اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذِكْر الله تعالى مَجْنُوناً ، قال : وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى ، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى ، فقال : أمجنون صاحبكم هـذا ؟ فسمعه أبو مسلم فقال : ليس هذا بالجنون يا ابن أخي ، ولكن هذا ذو الحنون .

السادسة والأربعون : أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى .

وذكر حماد بن زيد ، عن المعلى بن زياد ، أن رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبي ، قال : أَذِبْه بالذِّكْر . وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعـالى

(١) هو عبد الله بن ثُوَب الخولاني تابعي فقيه عابد زاهد ، نعتـــه الذهبي بـ : ريحانة الشام ، أصله من اليمن ، أدرك الجاهلية ، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره ، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنـه ، ثم رحل إلى الشام . توفي سنة ٦٢ هـ ويقال : إن قبره في داريا من دمشق .

ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل .

السابعة والأربعون : أن الذكر شفاء القلب ودواؤه ، والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة ، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى .

قال مكحول : ذكر الله تعالى شفاء ، وذكر الناس داء .

وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعاً ومرسلاً .   (١) ذكرته شفاها وعافاها ، فإذا غفلت عنه انتكست ، كما قيل :

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ   فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانَاً فَنَنْتَكِسُ

الثامنة والأربعون : أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسُها ، والغفلة أصل معاداته ورأسُها ، فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفُل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

قال الأوزاعي : قال حسان بن عطية : ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره .

فهذه المعاداة سببها الغفلة ، ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره ، فحينئذ يتخذه عدواً كما اتخذ الذاكِر وَليّاً .

التاسعة والأربعون : أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى ، فالذكر جلاَّب للنعم ، دافع للنقم ، قال سبحانه وتعالى : (إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) وفي القراءة الأخرى :

---

(١) سقط كلام قبل هذا .

﴿ إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ[1] ﴾ [الحج : ٣٨] فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ، ومادَّة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً ، وأكثر ذكراً ، كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ، ومن نقص نقص ذكراً بذكر ، ونسياناً بنسيان ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُم لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

والذكر رأس الشكر ، كما تقدم ، والشكر جلاب النعم، وموجب للمزيد .

قال بعض السلف رحمة الله عليهم : ما أقبح الغفلة عن ذكر مَنْ لاَيَغْفُلُ عن ذكرك .

الخمسون : أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر ، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته ، فقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُروا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلىٰ النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤمِنِينَ رَحِيماً ﴾ [الأحزاب : ٤١ ـ ٤٣] .

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته ، إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور ، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته ، وأخرجوهم من الظلمات إلى النور ، فأيُّ خيرٍ لم

(١) قال ابن الجوزي في « زاد المسير » ٤٣٥/٥ : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : يدفع ، وقرأ عاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي : إن الله يدافع ، بألف .

يحصل لهم ، وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم ؟ فياحسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله ، وبالله التوفيق .

الحادية والخمسون : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا ، فليستوطن مجالس الذكر ، فإنها رياض الجنة .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال : خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَعُوا في رِيَاضِ الجَنَّةِ » . قلنا : يا رسول الله وما رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قال : « مَجَالِسُ الذِّكْرِ » ، ثم قال : « اغْدُوا ورُوحُوا وَاذْكُرُوا ، فَمَنْ كَانَ يحب أَنْ يعلم منزلَته عندَ الله تعالى ، فلْيَنْظُرْ كيفَ منزلَةُ الله تعالى عندَه ، فإنَّ اللهُ تعالى يُنْزِلُ العملَ منه حيث أَنْزَلهُ من نفسه »[1] .

الثانية والخمسون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه ، كما أخرجا في « الصحيحين » من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لِلهِ مَلاَئِكَةً فُضُلاً[2] عن كتاب

(١) ورواه أيضاً الحاكم ١/٤٩٤ وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : وعمر - يعني ابن عبد الله مولى غفرة، ضعيف. نقول : ولأوله شواهد ذكرها ابن علان في « الفتوحات الربانية » ١/٩١ ـ ٩٣ فانظرها .

(٢) وقد ضبطت هذه الكلمة على أوجه ، أرجحها وأشهرها بضم الفاء والضاد ، قال العلماء : معناه : انهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق ، لاوظيفة لهم إلا حلق الذكر .

الناس[1]، يَطوفونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذَا وَجدُوا قَوْماً يَذْكرونَ اللهَ تعالىٰ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُم، قال: فَيَحفُّونَهُم بأَجْنِحَتِهم إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قال: فيسأَلُهم ربُّهُم تعالى ـ وهو أعلم بهم ـ: ما يَقُولُ عِبَادي؟ قال: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَك، [ويُمجِّدونَكَ]. قال: فيقول: هَلْ رَأَوْني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رَأَوْكَ، قال: فيقول: كيف لو رَأَوْني؟ قال: فيقولون: لو رَأَوْك كانوا أَشدَّ لك عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لكَ تَحْمِيداً وتَمْجِيداً، وأَكثَرَ لكَ تَسْبيحاً. قال: فيقول: ما يسألوني؟ قال: يسألونك الجَنَّةَ. قال: فيقول: وهل رَأَوْها؟ قال: يقولون: لا والله يا رَبِّ، ما رَأَوْها. قال: فيقول: فكيف لو أنهم رَأَوْها؟ قال: يقولون: لو أَنَّهُم رَأَوْها كانُوا أَشَدَّ عليها حِرْصاً، وَأَشَدَّ لها طَلَبَاً، وأَعظَمَ فيها رَغْبَةً. [قال:] فيقول: فَمِمَّ يتعوَّذُون؟ قال: من النَّارِ. قال: يقول: وهل رَأَوْها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب، ما رَأَوْها. قال: يقول: فكيف لو رَأَوْها، قال: يقولون: لو رأوها كانوا أَشَدَّ مِنهَا فِرَاراً، وَأَشَدَّ لها مَخَافَةً. قال: يقول:

---

(١) لفظه عند البخاري: « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق »، ولفظه عند مسلم: « إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر »، وجملة « عن كتاب الناس » ليست في البخاري ولا مسلم، وإنما هي عند ابن أبي الدنيا والطبراني في رواية جرير. قال الحافظ في « الفتح »: ومثله لابن حبان من رواية فضيل بن عياض وزاد « سياحين في الأرض » وكذا هو في رواية أبي معاوية عند الترمذي والاسماعيلي ».

فأُشْهِدُكم أني قد غَفَرْتُ لهم . [قال :] فيقول مَلَكٌ من الملائكة : فيهم فلانٌ ليس منهم ، إنَّما جاء لحَاجَةٍ . قال : هم الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهُمْ »[1] .

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم ، فلهم نصيب من قوله : (وَجَعَلَني مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ) [مريم : ٣١] فهكذا المؤمن مبارك أين حل ، والفاجر مشؤوم أين حل .

فمجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين ، وكلٌّ مضاف إلى شكله وأشباهه ، وكلُّ امرىء يصير إلى ما يناسبه .

الثالثة والخمسون : أنَّ الله عزَّ وجلَّ يباهي بالذاكرين ملائكته ، كما روى مسلم في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري قال : خَرَجَ معاويةُ على حَلْقَةٍ في المسجد ، فقال : ما أَجْلَسَكُمْ ؟ قالوا : جلسْنَا نَذْكُرُ اللهَ تعالى . قال : آللهِ ما أَجْلَسَكُم إلاَّ ذاك ؟ قالوا : آللهِ ما أجلسنا إلاَّ ذلك . قال : أما إني لم أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لكم ، وما كان أَحَدٌ بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني ، وإنَّ رسولَ الله ﷺ خرج على حَلْقَةٍ من أصحابه ، فقال : « ما أَجْلَسَكُم » ؟ قالوا : جلسنا نَذْكُرُ الله تعالى ونَحْمَدُهُ على ما هَدَانَا للإسلام ومنَّ به علينا . قال : آللهِ

---

(١) رواه البخاري ١١/١٧٧ – ١٧٩ في الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، ومسلم رقم ٢٦٨٩ في الذكر والدعاء ، باب فضل مجالس الذكر ، دون جملة « عن كتاب الناس » .

ما أَجلَسُكم إلاَّ ذاك » قالوا : والله ما أجلَسَنا إلاَّ ذَاكَ . قال : « أما إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُم تُهْمَةً لـكم ، ولٰكِنَّهُ أَتَاني جِبْرِيلُ فأَخبرني : أَنَّ الله تَبَارَكَ وتعالى يباهي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ »[1] .

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليلٌ على شرف الذكر عنده ، ومحبته له ، وأن له مزية على غيره من الأعمال .

الرابعة والخمسون : أن مُدْمِنَ الذِّكْر يدخل الجنـة وهو يضحك ، لما ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه ، عن أبي الدرداء قال : « ٱلَّذِينَ لا تَزالُ ألسنتهم رَطْبَةً من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجَنَّةَ وهو يَضْحَكُ » .

الخامسة والخمسون : أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى ، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى .

قال سبحانه وتعالى : (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي) [طه : ١٤] قيل: المصدر مضاف إلى الفاعل ، أي : لأذكرك بها ، وقيل : مضاف إلى المذكور ، أي : لتذكروني بها . واللام في هـذا لام التعليل . وقيل : هي اللام الوقتية ، أي : أقم الصلاة عند ذكري ، كقوله : (أَقِمِ ٱلصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) [الإسراء : ٧٨] وقوله تعالى : (ونَضَعُ المَوَازِينَ

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٧٠١ في الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكـر .

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) [الأنبياء : ٤٧] ، وهذا المعنى يراد بالآية ، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر ، لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف ، والذِّكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف ، أي : عند وقت ذكري ، وهذا محتمل .

والأظهر : أنها لام التعليل ، أي : أقم الصلاة لأجل ذِكري ، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره ، وإذا ذكر العبد ربه ، فذِكْرُ الله تعالى سابق على ذِكره ، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره ، فالمعاني الثلاثة حق .

وقال سبحانه وتعالى : (أُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) [العنكبوت : ٤٥] .

فقيل : المعنى : إنكم في الصلاة تذكرون الله ، وهو ذاكر من ذكره ، وَلَذِكْرُ اللهِ تعالى إيَّاكم أكبرُ من ذِكْركم إياه . وهذا يروى عن ابن عباس ، وسلمان ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ، رضي الله عنهم .

وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية : (ولَذِكْر الله أكبر) قال : هو قوله تعالى : (فاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ) ، فذِكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إيَّاه .

وقال ابن زيد وقتادة : معناه : ولذكر الله أكبر من كل شيء .

وقيل لسلمان : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : أما تقرأ القرآن

(وَلَذِكْرُ اللهُ أَكْبَرُ) . ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء المتقدم : « أَلاَ أُنَبِّئُكم بخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُم ، وخيرٍ لكم من إنْفاق الذَّهَبِ والورِق ... الحديث»[1] .

وكان شيخ الإسلام أبو العباس قدس الله روحه يقول : الصحيح : أن معنى الآية : أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر ، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهي مشتملة على ذِكر الله تعالى ، ولَما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن عباس أنه سئل : أي العمل أفضل ؟ قال : ذكر الله أكبر .

وفي « السنن » عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّما جُعِلَ الطَّوافُ بالبَيْتِ وبَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ وَرَمْي الجِمَارِ لإقامة ذِكرِ الله تعالى » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح[2] .

السادسة والخمسون : أن أفضلَ أهلِ كلِّ عملٍ أكثرُهم فيه ذِكراً لله عز وجل ، فأفضل الصُّوَّام ، أكثرُهم ذِكراً لله عز وجل في صومهم ، وأفضل المتصدِّقين ، أكثرُهم ذِكراً لله عز وجل ، وأفضل الحَاجِّ ، أكثرُهم ذِكراً لله عز وجل . وهكذا سائر الأحوال .

---

(١) وهو حديث صحيح ، وقد تقدم تخريجه ص : ٦٢ .

(٢) رواه أبو داود رقم ١٨٨٨ في المناسك ، باب في الرمل ، والترمذي رقم ٩٠٢ في الحج ، باب كيف يرمي الجمار ، وإسناده حسن . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثاً مرسلاً في ذلك : أن النبيَّ ﷺ سئل : أيُّ أهل المسجد خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » قيل : أيُّ الجنازة خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » . قيل : فأي المجاهدين خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » . قيل : فأي الحُجَّاج خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » قيل : وأي العباد خير ؟ قال : « أكثرهم ذكراً لله عز وجل » . قال أبو بكر : ذهب الذَّاكرون بالخير كلِّه .

وقال عبيد بن عمير : إنْ أَعْظَمَكم هذا الليلُ أن تكابدوه ، وبَخِلْتُمْ على المال أن تُنْفِقُوه ، وَجَبُنْتُم عن العدوِّ أن تقاتلوه ، فَأَكْثِروا من ذِكْرِ الله عز وجل .

السابعة والخمسون : أن إدامته تنوب عن التطوعات ، وتقوم مقامها ، سواء كانت بدنية ، أو مالية ، أو بدنية مالية ، كحج التطوع .

وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة : أن فقراء المهاجرين أَتَوْا رسولَ الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجاتِ العُلى ، والنَّعِيم المُقِيمِ ، [فقال : وما ذاك ؟ قالوا :] يُصَلُّونَ كما نُصَلي ويَصُومُونَ كما نَصُومُ ، ولهُمْ فَضْلُ أَمْوَالِهِمْ ، يَحُجُّونَ بها ، ويَعْتَمِرُون ، ويُجَاهِدُون [ويَتَصَدَّقُون] . فقال : « أَلاَ أُعَلِّمُكم شَيْئاً تُدْرِكُونَ بهِ مَنْ سَبَقَكُم ، وتَسبِقُونَ بهِ من بَعْدَكُم ، ولاَ أَحَدٌ يكُونَ أَفْضَل مِنْكُم إلا من صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال :

« تُسَبِّحُونَ ، وتَحْمَدُون ، وتُكَبِّرونَ خَلْفَ كلِّ صلاة . . . الحديث » متفق عليه[1] .

فجعل الذِّكر عِوَضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد ، وأخبر أنهم يَسْبقُونَهُم بهذا الذِّكر ، فلما سمع أهل الدُّثور بذلك عملوا به ، فازدادوا – إلى صدقاتهم وعباداتهم بمالهم – التعبُّد بهذا الذِّكر ، فحازوا الفضيلتين ، فنافسهم الفقراء ، وأخبروا رسول الله ﷺ بأنهم قد شاركوهم في ذلك ، فانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه ، فقال : « ذَلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيه من يَشَاءُ »[2] .

وفي حديث عبد الله بن بسر قال : جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، كثرت عليَّ خلال الإسلام وشرائعه ، فأخبرني بأمر جامع يكفيني . قال : « عَلَيْكَ بِذِكْرِ الله تعالىٰ » قال : ويكفيني يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ويَفْضُلُ عنْكَ »[3] .

فدله الناصح ﷺ على شيء يبعثه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها ، فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب

---

(١) رواه البخاري ٢٧٠/٢ و ٢٧١ في صفة الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، ومسلم رقم ٥٩٥ في المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .

(٢) وهي عند مسلم في إحدى روايات الحديث الذي قبله .

(٣) رواه بمعناه الترمذي رقم ٣٣٧٢ في الدعوات ، باب فضل الذكر ، وابن ماجه رقم ٣٧٩٣ في الأدب ، وإسناده صحيح ، ورواه الحاكم ٤٩٥/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وقد تقدم .

ما يحب ، فلا شيء أحب إليه من التقرب بشرائع الإسلام ، فدله ﷺ على ما يتمكَّن به من شرائع الإسلام ، وتسهل به عليه ، وهو ذكر الله عز وجل . يوضحه :

الثامنة والخمسون : أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته ، فإنه يحبّبها إلى العبد ، ويسهّلها عليه ، ويلذّذها له ، ويجعل قرة عينه فيها ، ونعيمه وسروره بها ، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل ، والتجربة شاهدة بذلك . يوضحه .

التاسعة والخمسون : أن ذكر الله عز وجل يُسَهِّلُ الصعب ، ويُيَسِّر العسير ، ويُخفِّفُ المَشَاقَّ ، فما ذُكِرَ اللهُ عز وجل على صعب إلا هان ، ولا على عسيرٍ إلا تَيَسَّر ، ولا مَشقَّةٍ إلا خَفَّتْ ، ولا شِدَّةٍ إلاَّ زَالت ، ولا كُرْبَةٍ إلا انفرجت ، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة ، واليسر بعد العسر ، والفرج بعد الغم والهم . يوضحه :

الستون : أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلَّها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه ، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له ، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كلِّه مخاوف ، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا . والله المستعان .

الحادية والستون : أن الذكر يعطي الذَّاكِرَ قوة ، حتى إنه ليفعل

مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه ، وكلامه ، وإقدامه ، وكتابه ، أمراً عجيباً ، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر ، وقد شاهد العسكرُ من قوته في الحرب أمراً عظيما .

وقد علَّم النبيُّ ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضي الله تعالى عنهما أن يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ، ويحمَدا ثلاثاً وثلاثين ، ويكبِّرا أربعاً وثلاثين ، لَّما سألَتْهُ الخَادِمَ ، وشكَتْ إليه ما تقاسيه من الطَّحْنِ والسَّعْي والخِدْمَةِ ، فعلَّمها ذلك وقال : « إنَّه خَيْرٌ لكما من خادم »[1] .

فقيل : إن من داوم على ذلك وجد قوةً في يومه مغنية عن خادم .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثراً في هذا الباب ويقول : إنَّ الملائكة لما أُمروا بحمل العرش قالوا : يا ربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال : قولوا : لا حول ولا قوة

---

(١) رواه البخاري ٧/٥٩ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، وفي الجهاد ، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله ﷺ والمساكين ، وفي النفقات ، باب عمل المرأة في بيت زوجها ، وباب خادم المرأة وفي الدعوات ، باب التكبير والتسبيح عند المنام ، ومسلم رقم ٢٧٢٧ في الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ، والترمذي رقم ٣٤٠٥ في الدعوات ، باب ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند المنام ، وأبو داود رقم ٢٩٨٨ و ٢٩٨٩ في الخراج والامارة ، باب بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى .

إلا بالله ، فلما قالوا ، حملوه ، حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح قال : حدثنا مشيختنا أنه بلغهم : أنَّ أول ما خلق الله عز وجل – حين كان عرشه على الماء – حملة العرش ، قالوا : ربنا لم خَلَقْتَنَا ؟ قال : خلقتكم لحمل عرشي . قالوا : ربَّنا ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظَمَتُك وجلالُك ووقارُك ؟ قال : لذلك خلقتكم . فأعادوا عليه ذلك مراراً ، فقال لهم : قولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فحملوه[1] .

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة ، وتحمل المشاق ، والدخول على الملوك ، ومن يخاف ، وركوب الأهوال . ولها أيضاً تأثير في دفع الفقر ، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن أسد بن وَدَاعة رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَالَ : لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، مائَةَ مَرَّةٍ في كل يوْم ، لم يُصِبْه فَقْرٌ أَبَدَاً »[2] .

وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقي عدُواً ، أو ناهض حصْناً قول : لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّة إلاَّ باللهِ ، وإنَّهُ نَاهَضَ يوماً حِصْنَاً للرُّوم ، فانهزم ، فقالها المسلمون وكبَّروا ، فانْهَدَمَ الحِصْن .

الثانية والستون : أن عُمَّالَ الآخرة كلُّهم في مضمار السباق ، والذاكرون

---

(١) وهذا الأثر فيه جهالة وانقطاع .

(٢) وإسناده منقطع .

هم أسبقهم في ذلك المضمار ، ولكن القَتَرة والغبار يمنع من رؤية سبقهم ، فإذا انجلى الغبار وانكشف ، رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق .

قال الوليد بن مسلم : قال محمد بن عجلان : سمعت عمر مولى غفرة [١] يقول : إذا انْكَشَفَ الغِطَاءُ للنَّاسِ يوم القِيَامَةِ عن ثَوابِ أعمالهم ، لم يَرَوْا عَمَلاً أفضَلَ ثَوَاباً من الذِّكْر ، فيَتَحَسَّرُ عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أَيْسَرَ علينا من الذِّكْـر .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « سِيرُوا ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ » قالوا : وما الْمُفَرِّدُونَ قال : « الذين أُهْتِرُوْا [٢] في ذِكْـرِ الله تعـالى يضع الذكرُ عنهم أوزارهم » [٣] .

أُهْتِرُوا بالشيء وفيه : أُولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم .

وفي بعض ألفاظ الحديث : « الْمُسْتَهْتَرُون بذِكْـرِ اللهِ » [٤] .

---

(١) هو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص مولى غفرة ، وهو ضعيف كما قال الحافظ في « التقريب » .

(٢) في « مسند أحمد » و« مستدرك الحاكم » : يهترون في ذكر الله .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٢/٣٢٣ ، والترمذي رقم ٣٥٩٠ في الدعوات ، باب رقم ١٣٩ ، والحاكم ١/٤٩٥ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه مسلم رقم ٢٦٧٦ في الذكر ، باب الحث على ذكر الله بلفظ : « سبق المفردون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » .

(٤) وهي رواية الترمذي .

ومعنـاه : الذين أُولعوا به ، يقال : استُهتِرَ فلان بكذا : إذا أولِعَ به .

وفيه تفسير آخر : أن « أُهْتِرُوا في ذكر الله » ، أي : كبروا وهَلَكَ أقرانُهم وهم في ذكر الله تعالى .

يقال : أُهْتِرَ الرجل ، فهو مُهْتَر : إذا سقط في كلامه من الكبر ، والهتر : السقط من الكلام ، كأنه بقي في ذكر الله تعـالى حتى خرف وأنكر عقله ، والهتر : الباطل أيضاً ، ورجل مُسْتَهْتَر : إذا كان كثير الأباطيل .

وفي حديث ابن عمر : أعوذ بالله أن أكون من المستهترَين .

وحقيقة اللفظة : أن الاستهتار : الإكثار من الشيء ، والولوع به ، حقاً كان أو باطلاً ، وغلب استعماله على المبطل ، حتى إذا قيل : فلان مستهتَر ، لا يفهم منه إلا الباطل ، وإنما إذا قيد بشيء تقيد به ، نحو : هو مستهتَر ، وقد أُهْتِرَ في ذكر الله تعالى ، أي : أُولع به وأُغْرِيَ به .

ويقال : استُهْتِرَ فيه وبه . وتفسير هذا في الأثر الآخر : « أَكْثِرُوا ذِكْرَ الله تعالى حتى يقال : مَجْنُونٌ »[(١)] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/٦٩ و ٧١ ، والحـاكم ١/٤٩٩ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، ورواية دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ضعيفة . وقال الحافظ في « التهذيب » في ترجمة دراج : قـال ابن عدي : ومما ينكر من حديثه : « أكثروا من ذكر الله حتى يقال : مجنون » .

الثالثة والستون : أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده ، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربه ، ومن صدَّقه الله تعالى ، لم يحشر مع الكاذبين ، ورُجي له أن يحشر مع الصادقين .

روى أبو إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم ، أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « إذَا قالَ العَبْدُ : لا إله إلا الله والله أكبر ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : صَدَقَ عَبْدِي . لاَ إلٰه إلا أَنَا وَأَنا أَكْبَرُ ، وإذا قال : لا إلٰه إلا الله وحده ، قال : صدق عبدي ، لا إلٰه إلا أنا وَحْدِي ، وإذا قال : لا إله إلا الله [وحده] لا شريك له ، قال : صَدَقَ عبدي، لا إله إلا أنا، لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا ، لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : صدق عبدي ،لا إله إلا أنا ، ولا حول ولاقوة إلا بي » قال أبو إسحاق : ثم قال الأغرُّ [(١)] شيئاً لم أفهمه ، قلت لأبي جعفر : ما قال ؟ قال : « مَنْ رُزِقَهُنَّ عند مَوْته لم تَمَسَّهُ النَّارُ » [(٢)] .

---

(١) في النسخ المطبوعة : ثم قال الآخر ، وهو خطأ ، والتصحيح من كتب الحديث .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٣٧٩٤) في الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله ، وابن حبان رقم (٢٣٢٥) « موارد » وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً الترمذي رقم ٣٤٢٦ في الدعوات ، باب ما يقول العبد إذا مرض ، وقال : هذا =

الرابعة والستون : أن دُورَ الجَنَّةِ تُبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر ، أمسكت الملائكة عن البناء .

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه ، عن حكيم بن محمد الأخنسي قال : بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم ، فيقولون : حتى تأتينا نفقة .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قالَ : سُبْحانَ اللهِ وبحمده ، سُبْحانَ الله العظيم — سبع مرات — بُنِيَ لَهُ بُرْجٌ في الجَنَّةِ » .

وكما أن بناءها بالذكر ، فغراس بستاتينها بالذكر كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام : « أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ المَاءِ ، وأَنَّهاقِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِراسَهَا : سُبْحَانَ اللهِ ، والحَمْدُ للهِ ، ولا إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، واللهُ أَكْبَر »[1] .

فالذكر غراسها وبناؤها .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ،

= حديث حسن . ورواه الحاكم ، وأبو يعلى ، والبيهقي في « الشعب » والضياء ، وعبد بن حميد ، والنسائي .

(١) رواه الترمذي رقم ٣٤٥٨ في الدعوات ، باب رقم ٦٠ وقال الترمذي : وفي الباب عن أبي أيوب وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال ، فإن له شواهد بمعناه .

أن رسول الله ﷺ قال: «أَكْثِرُوا مِنْ غِراسِ الجَنَّةِ»، قالوا: يا رسول الله، وما غِراسُها؟ قال: «ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

الخامسة والستون: أنَّ الذكر سد بين العبد وبين جهنم، فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال، كان الذكر سداً في تلك الطريق، فإذا كان ذكراً دائماً كاملاً، كان سَدّاً مُحْكَماً لا مَنْفَذَ فيه، وإلا فبحسبه.

قال عبد العزيز بن أبي رَوَّاد: كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجداً، فجعل في قبلته سبعة أحجار، كان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار! أشهدكم أنه لا إله إلا الله، قال: فمرض الرجل، فَعُرِجَ بروحه، قال: فرأيت في منامي أنه أُمر بي إلى النار، قال: فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عظم، فسدَّ عني باباً من أبواب جهنم، ثم أتى إلى الباب الآخر، فإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم، فسد عني باباً من أبواب جهنم، حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم.

السادسة والستون: أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب، كما روى حسين المعلِّم عن عبد الله بن بريدة، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد في كتاب الله المُنْزَلِ: أن العبد إذا قال: «الحمد لله»، قالت الملائكة: «رَبِّ العالمين»، وإذا

(١) وذكره الهيثمي في «المجمع» ونسبه للطبراني وقال: وفيه عقبة بن علي، وهو ضعيف.

قال : « الحمد لله ربِّ العالمين » ، قالت الملائكة : اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لعَبْدِكَ ، وإذا قال : « سُبْحَانَ الله » ، قالت الملائكة : « وبحمده » ، وإذا قال : « سبحان الله وبحمده » ، قالت الملائكة : اللهم اغفر لعبدك ، وإذا قال : « لا إله الا الله » قالت الملائكة : اللهم اغْفِرْ لِعَبْدِكَ » .

السابعة والستون : أنَّ الجبال والقِفَار تَتَباهى ، وتَسْتَبْشِر بمن يذكر الله عز وجل عليها .

قال ابن مسعود : أن الجبل لينادي الجبل باسمه : أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال : نعم ، استبشر .

قال عون بن عبد الله : إن البقاع لينادي بعضها بعضاً : يا جارتاه ، أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة : نعم ، وقائلة : لا ، فقال الأعمش عن مجاهد : إن الجبل لينادي الجبل باسمه : يا فلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فمن قائل : لا ، ومن قائل : نعم .

الثامنة والستون : أنَّ كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق ، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل .

قال الله عز وجل في المنافقين : (ولاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ قَلِيلاً) [النساء : ١٤٢] .

وقال كعب : من أكثر ذكر الله عز وجل برىء من النفاق . ولهذا ـ والله أعلم ـ ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى : (يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُم أَموَالُكُم ولاَ أَوْلاَدُكُم عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ

فأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرون) [المنافقون : ٩] ، فإن في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل ، فوقعوا في النفاق .

وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج : منافقون هم ؟ قال : لا ، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً .

فهذا من علامة النفاق : قِلَّةُ ذِكْرِ الله عز وجل ، وكثرةُ ذكره أمان من النفاق ، والله عز وجل أكرم من أن يبتليَ قلباً ذاكراً بالنفاق ، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل .

التاسعة والستون : أن للذكر من بين الأعمال لذةً لا يشبهها شيء ، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر ، والنعيم الذي يحصل لقلبه ، لكفى به ، ولهذا سميت مجالسُ الذكر رياضَ الجنة .

قال مالك بن دينار : ما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل ذكر الله عز وجل ، فليس شيء من الأعمال أخفّ مؤونةً منه ، ولا أعظم لذة ، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب .

السبعون : أنه يكسو الوجه نضرةً في الدنيا ، ونوراً في الآخرة ، فالذاكرون أنضر الناس وجوهاً في الدنيا ، وأنورهم في الآخرة .

ومن المراسيل عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ مائَةَ مَرَّةٍ : « لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهَ وحْدَهُ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، ولَهُ الحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُميتُ ، بيَدِهِ الخَيْرُ ، وهُوَ علىٰ كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ ، أَتىٰ اللهَ تعالىٰ يومَ القِيامةِ ووَجْهُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً من القمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ » .

الحـــادية والسبعون : أن في دوام الذكر في الطريق ، والبيت ، والحضر ، والسفر ، والبقاع،تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة ، فان البقعة ، والدار ، والجبل ، والأرض ، تشهد للذاكر يوم القيامة .

قال تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وقَالَ الإِنْسَانُ مَالَهَا ، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) [الزلزال : ١ ـ ٥] .

فروى الترمذي في « جامعه » ، من حديث سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)، قال : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا » ؟ قالوا : اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ ، قـال : « فإِنَّ أَخْبَارُها أَنْ تَشْهَدَ علىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ علىٰ ظَهْرِهـا ، تقول : « عَمِلَ يَوْمَ كذَا ، كَذَا وكَذَا » قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1] .

والذاكر لله عزَّ وجلَّ في سائر البقاع مكثر شهوده ، ولعلهم أو

(١) رواه الترمذي رقم ٣٣٥٠ في التفسير ، باب ومن سورة إذا زلزلت ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم ١/ ٥٣٢ وصححه ، وتعقبه الذهبي بأن يحيى بن أبي سليمان منكر الحديث ، قاله البخـــاري ، وقال الحافظ في « التقريب » : لين الحديث ، نقول : ولكن للحديث شاهد عند أبي مردويه والبيهقي في « شعب الايمان » من حديث أنس رضي الله عنه ، وعند الطبراني من حديث ربيعة الجوشي ، فالحديث حسن بشواهده .

أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد ، وأداء الشهادات ، فيفرح ويغتبط بشهادتهم .

الثانية والسبعون : آن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة ، والنميمة ، واللغو ، ومدح الناس ، وذَمِّهم ، وغير ذلك ، فإن اللسان لايسكت ألبتة .

فإما لسان ذاكر ، وإمّا لسانٌ لاغٍ ، ولابد من أحدهما ، فهي النفس إن لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل ، وهو القلب ، إن لم تسكنه محبة الله عز وجل ، سكنه محبة المخلوقين ولا بد ، وهو اللسان ، إن لم تشغله بالذكر ، شغلك باللغو ، وما هو عليك ولا بد ، فاختر لنفسك إحدى الخطتين ، وأنزلها في إحدى المنزلتين .

الثالثة والسبعون : وهي التي بدأنا بذكرها ، وأشرنا اليها اشارة ، فنذكرها هاهنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها ، وحاجة كل أحد ، بل ضرورته إليها ، وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً ، وأحاطوا به ، وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشَّرِّ والأذى ، ولا سبيل الى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل .

وفي هذا الحديث العظيم ، الشريف القدر ،الذي ينبغي لكل مسلم أن يحفظه ، فنذكره بطوله لعموم فائدته ، وحاجة الخلق اليه ، وهو حديث سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب[1] قال : خَرَجَ علينا

(١) كذا في النسخ المطبوعة : عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب ، وهو=

رسولُ الله ﷺ يوماً، وكُنّا في صُفَّةٍ بالمدينة، فقام علينا وقال: «إنِّي رأيْتُ البارحَةَ عَجَباً: رأيتُ رجلاً من أُمَّتي أتاه مَلَكُ الموت ليَقْبِضَ رُوحَهُ، فجاءَه بِرُّه بوالِدَيْه، فردَّ مَلَكَ الموت عنه، ورأيت رجلاً قد بُسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، ورأيتُ رُجُلاً من أُمَّتي قد احْتَوَشَتْه الشَّياطين، فجاءه ذِكْر الله عز وجل، فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي يلتهب - وفي رواية: يلهث - عطَشاً، كلَّما دنا من حوضٍ مُنِعَ وطُرِدَ، فجاءه صيامُ شهرِ رمضانَ، فأسْقَاهُ وأَرْوَاهُ، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي، ورأيتُ النَّبيِّين جُلوساً حِلَقاً حِلَقاً، كلما دنا إلى حَلْقَةٍ طُرِدَ، فجاءه غُسْلُه من الجنابة، فأخذ بيده، فأقعده إلى جنبي، ورأيتُ رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، وهو متحيِّرٌ فيها، فجاءه حجُّه وعُمرتُه، فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه في النور، ورأيت رجلاً من أُمَّتي يتَّقي بيده وهَجَ النار وشرره، فجاءته صدقته، فصارت سُتْرَةً بينه وبين النار، وظَلَّلَتْ على رأسه، ورأيتُ رجلاً من أمتي يكلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه، فجاءته صِلَتُه لِرَحِمِهِ فقالت: يا معشر المسلمين، إنه كان وَصُولاً لرَحِمِهِ فكلِّموه، فكلمه المؤمنون وصافَحوه وصافَحَهُم، ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي قد احْتَوَشَتْه الزَّبانِيَةُ، فجاءه أمره بالمعروف ونَهْيُه عن المنكر، فاستَنْقَذَه من أيديهم، وأدخله

= خطأ، والصواب: عن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، يكنى أبا سعيد، أسلم يوم فتح مكة، وصحب النبي ﷺ وروى عنه. توفي رضي الله عنه بالبصرة سنة ٥١ هـ وإليه تنسب سكة ابن سمرة بالبصرة.

في ملائكة الرحمة ، ورأيتُ رجلاً من أمتي جاثِياً على رُكْبَتَيْه ، وبينه وبين الله عز وجل حجاب ، فجاءه حُسْنُ خُلُقِهِ ، فأخذه بيده ، فأدخله على الله عز وجل ، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل ، فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه ، ورأيت رجلاً من أمتي خَفَّ ميزانه ، فجاءه أفراطه[1] فَثَقَّلُوا ميزانه ، ورأيتُ رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه في الله عز وجل ، فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتي قد أهوى في النار ، فجاءته دمعتُه التي بكى من خشية الله عز وجل ، فاستنقذته من ذلك ، ورأيتُ رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يُرعد كما ترعد السَّعَفَة في ريح عاصف ، فجاءه حُسْنُ ظَنِّهِ بالله عز وجل ، فسَكَّن رِعْدَتَهُ ومضى ، ورأيتُ رجلاً من أمتي يَزْحَفُ على الصراط ، ويحبو أحياناً ، ويتعلق أحياناً ، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه ، وأنقذته ، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلِّقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، ففتحت له الأبواب ، وأدخلته الجنة » . رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب « الترغيب في الخصال المنجية ، والترهيب من الخلال المردية »[2] وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له ، وقال : هذا

---

(١) جمع فرط ، والمراد به : من مات له من الأطفال .

(٢) وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للحكيم الترمذي ، والطبراني في « الكبير » من حديث عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب...

حديث حسن جداً ، رواه عن سعيد بن المسيب : عمرو بن آزر[1] ، وعلي ابن زيد بن جدعان ، وهلال أبو جبلة . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظِّم شأن هذا الحديث ، وبلغني عنه أنه كان يقول : شواهد الصحة عليه . والمقصود منه قوله ﷺ : « ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله عز وجل ، فطرد الشيطان عنه » فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة .

وقوله فيه : « وأَمَرَكُم بذكر الله عز وجل ، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو ، فانطلقوا في طلبه سِراعاً ، وانطلق حتى أتى حصناً حَصِيناً ، فأحرز نفسه فيه » .

فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل ، وفي الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال – يعني إذا خرج من بيته – بِسْمِ اللهِ ، توكَّلْتُ على الله ، لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله ، يقال له : كُفِيتَ وهُدِيتَ و وُقِيْتَ ، وتَنَحَّى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي و وُقِي » ؟ رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن[2] .

---

(١) لم نجد في تراجم الرجال عمرو بن آزر ، ولعله عمرو بن أزهر ، وهو ضعيف ، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف أيضاً ، وهلال أبو جبلة ذكره أبو حاتم في « الجرح والتعديل » ولم يذكره بجرح ولا تعديل .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٥ في الأدب ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ، =

وقد تقدم قوله ﷺ : « مَنْ قال في يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت له حِرزاً من الشيطان حتى يمسي » . وذكر سفيان عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن كعب قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال : بِسْمِ اللهِ ، قال المَلَكُ : هُديتَ ، وإذا قال : توكَّلْتُ على الله ، قال المَلَكُ : كُفيت ، وإذا قال : لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلَّابالله قال المَلَكُ : حُفِظْتَ . فيقول الشياطين بعضهم لبعض : ارجعوا ، ليس لكم عليه سَبيل ، كيف لكم بمن كُفي وهُدي وحفظ ؟.

وقال أبو خلاد المصري : من دخل في الإسلام ، دخل في حصن ، ومن دخل المسجد ، فقد دخل في حصنين ، ومن جلس في حلقة يذكر الله عز وجل فيها ، فقد دخل في ثلاثة حصون .

وقد روى الحافظ أبو موسى في كتابه من حديث أبي عمران الجوني ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : إذا وضع العبد جَنْبَه على فراشه ، فقال : بسم الله ، وقرأ فاتحة الكتاب ، أَمِنَ من شرِّ الجنِّ والإنسِ ومن كلِّ شيء »[1] .

= والترمذي رقم ٣٤٢٢ في الدعوات ، باب رقم ٣٤ ولم نجده عند النسائي ، ولعله في الكبرى ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم ٢٣٧٥ « موارد » . وقال الترمذي : هذا حسن ، وهو كما قال .

(١) وذكره السيوطي في « الجامع الكبير » ونسبه للبزار والديلمي . قال الهيثمي في « المجمع » : وفيه غسان بن عبيد ، وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وفي « صحيح البخاري » ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : ولاَّني رسول الله ﷺ زكاةَ رمضانَ أن أحتفظ بها ، فأتاني آتٍ ، فجعل يَحْثُو الطَّعام ، فأخذته ، فقال : دعني فإني لا أعود . . . فذكر الحديث ، وقال : فقال له في الثالثة : أعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن ، إذا أوَيْتَ إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي من أولها إلى آخرها ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخلى سبيله ، فأصبح ، فأخبر النبي ﷺ بقوله ، فقال : « صَدَقَكَ ، وهو كذوب »[1] .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذَا أوى الإنْسانُ إلىٰ فِرَاشِه ، ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وشَيْطَانٌ ، فيقول المَلَكُ : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر . فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعني النوم - طرد المَلَكُ الشيطان وبات يكلؤه ، فإذا استيقظ ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان : افتح بشر ، فإن قال : الحمد لله الذي أحيا نفسي بعد موتها ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذي

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ٤/٣٩٦ - ٣٩٨ في الوكالة ، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز . قال الحافظ في « الفتح » : وصله النسائي والاسماعيلي وأبو نعيم . وانظر بقية كلام الحافظ في « الفتح » ٤ ٣٩٨ .

يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، [1] طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه » [2] .

وفي « الصحيحين » : من حديث سالم بن أبي الجعد ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أَمَا إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فيولد بينهما ولد [3] لَا يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدَاً » [4] .

وذكر الحافظ أبو موسى ، عن الحسن بن علي قال : أنا ضامنٌ لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يَعْصِمَهُ اللهُ تعالى مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ ظَالِمٍ ، ومن كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ، ومِنْ كلِّ سَبُعٍ ضَارٍ ، ومن كلِّ لِصٍّ عادٍ : آيةَ الكرسي ، وثلاثَ آيات من الأعراف (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ

(١) الذي في « موارد الظمآن » ، و « مجمع الزوائد » بدل هذه الجملة الأخيرة من الحديث : طرد الملك ... الخ : « فإن وقع عن سريره دخل الجنة . والذي في « مستدرك الحاكم » : « فإن خرق دابة مات شهيداً ، وإن قام فصلى صلى في الفضائل » .

(٢) ورواه بمعناه ابن حبان رقم ٢٣٦٢ «موارد» ، والحاكم ٥٤٨/١ وصححه ووافقه الذهبي ورجاله ثقات ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٢٠/١٠ وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن الحجاج الشامي ، وهو ثقة . نقول : وصوابه : إبراهيم بن الحجاج السامي ، بالسين المهملة .

(٣) كذا في النسخ المطبوعة : فيولد بينهما ولد . وليس في « الصحيحين » بهذا اللفظ ، وقد رواه المصنف بالمعنى . وفي بعض روايات البخاري : فإن كان بينهما ولد . وفي « الصحيحين » : « فإنه إن يقدر بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبداً » .

(٤) رواه البخاري ٣٢١/١٣ في التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى ، وفي بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وفي الدعوات ، باب الدعاء للمتزوج ، ومسلم رقم ١٤٣٤ في النكاح ، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع .

والأَرْضَ ...) [الأعراف : ٥٤_٥٧] ، وعشراً من الصَّافَّاتِ [١_١٠] ، وثلاثَ آياتٍ من الرَّحْمن (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ...) [الرحمن : ٣٣ _ ٣٤] ،وخاتمة سُورَةِ الحَشْرِ : (لَوْ أَنْزَلْنا هذَا [القرآن]) [الحشر : ٢١ _ ٢٤] .

وقال محمد بن أبان : بينما رجل يصلي في المسجد ، إذا هو بشيء إلى جنبه ، فجفل منه ، فقال : ليس عليك مني بأس ، إنما جئتك في الله تعالى ، ائت عروة فسله :ما الذي يتعوذه ؟ _ يعني من إبليس الأباليس _ . قال : قُلْ آمنتُ باللهِ العظيم وحدَه ، وكفرتُ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، واعْتَصَمْتُ بالعُرْوَةِ الوُثْقى لا انْفِصَام لها ، والله سميع عليم ، حسبيَ الله وكفى ، سمع الله لمن دَعا ، ليس وراءَ اللهِ منتهى .

وقال بشر بن منصور : عن وهيب بن الورد قال : خرج رجلٌ إلى الجبّانَةِ بعد ساعة من الليل ، قال : فسمعت حِسّاً _ أو صوتاً _ شديداً ، وجِيءَ بسريرٍ حتى وضع،وجاء شيء حتى جلس عليه ، قال : واجتمعت إليه جنوده ، ثم صرخ فقال : من لي بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات ، فقال واحد : أنا أكفيكه . قال : فتوجه نحو المدينة وأنا ناظرٌ ، ثم أوشك الرجعة ، فقال : لا سبيل إلى عُرْوَةَ ، وقال : ويلكم وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى ، فلا نخلص اليه معهن ،قال الرجل: فلما أصبحتُ ، قلت لأهلي : جَهِّزُوني ، فأتيتُ المدينة ، فسألت عنه حتى دُلِلْتُ عليه ، فإذا شيخ كبير ، فقلت : أشيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فأبى أن يخبرني ، فأخبرته بما رأيت وما سمعت ، فقال : ما أدري ، غير أني أقول إذا أصبحت :

آمنت بالله العظيم ، وكفرتُ بالجبْتِ والطَّاغُوتِ ، واسْتَمْسَكْتُ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى الَّتي لا انْفِصَامَ لها ، والله سَمِيْـعٌ عليم . إذا أصبحتُ قلت ثلاثَ مرَّات ، وإذا أمسيْتُ قلت ثلاث مرات .

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال : قال جبريل للنبيِّ ﷺ : إنَّ عِفريتاً من الجن يَكِيدُك ، فإذَا أَويْت الى فِرَاشِكَ فقل : أَعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّات التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌ ولا فاجِرٌ ، من شَرِّ ما ينزل من السَّماء وما يَعْرُجْ فيها ، ومن شَرِّ ماذَرأ من الأرْضِ وما يخرجُ منها ، ومن شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ والنَّهار ، ومن شَرِّ طورقِ الليل والنهـار ، إلاّ طارِقاً يطرق بخير يا رحمن [1] .

وقد ثبت في « الصحيـح » أن الشيطان يهرب من الأذان .

---

(١) وإسناده منقطع ، ورواه مالك في « الموطأ » ٢/٩٥١ و ٩٥٢ في كتاب الشعر ، باب ما يؤمر به من التعوذ عن يحيى بن سعيد مرسلاً . قال الزرقاني في « شرح الموطأ » : ووصله النسائي من طريق محمد بن جعفر ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن ابن عباس السلمي ، عن ابن مسعود . قال الزرقاني : قال حمزة الكناني الحافظ : هذا ليس بمحفوظ ، والصواب مرسل . وقال السيوطي : وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » من طريق داود بن عبد الرحمن العطار ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت رجلاً من أهل الشام يحدث عن ابن مسعود قال : لما كان ليلة الجن أقبل عفريت في يده شعلة ... فذكره.انتهى . قـال الزرقاني : وفيه نظر ، لأن ليلة الجن هي ليلة استماعهم القرآن ، وهي غير ليلة الاسراء ، فهما حديثان وإن اتحد لفظ الاستعاذة فيهما .

قال سهيل بن أبي صالح : أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام ـ أو صاحب ـ لنا ، فنادى منادٍ من حائط باسمه ، فأشرف الذي معي على الحائط ، فلم ير شيئاً ، فذكرت ذلك لأبي ، فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة ، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ الشَّيْطَانَ اذا نُودِيَ بالصلاة ، وَلَّى وله حُصَاصٌ » .

وفي رواية : « إذا سمع النِّدَاءَ وَلَّى وله ضُرَاطٌ ، حتى لا يسمع التَّأْذِينَ ... » الحديث .[1]

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي رجاء ، عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ : « اسْتَكْثِروا من لا إِلٰهَ إلاَّ الله والاستغفار ، فإنَّ الشَّيطانَ قال : قد أَهْلَكْتُهُم بالذُّنُوب ، وأَهْلَكُوني بقول : لا إِلٰهَ الاَّ الله والاسْتِغفَار ، فلما رأيتُ ذلك منهم أَهْلَكْتُهُم بالأَهْوَاء حتى يَحْسَبُونَ أنهم مُهْتَدُون ، فلا يَسْتَغْفِرُون »[2] .

وذكر أيضاً عن إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : بينا رجل مسافر ، إذْ مرَّ برَجُلٍ نائم ، ورأى عنده شيطانين ، فسمع

---

(١) رواه البخاري ٢/٦٩ و ٧٠ في الأذن ، باب فضل التأذين ، ومسلم رقم ٣٨٩ في الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ونسبه لأبي يعلى . وقال الهيثمي : وفيه عثمان بن مطر ، وهو ضعيف .

المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه : اذهب فافسد على هذا النائم قلبه ، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال : لقد نام على آية مالنا إليه سبيل ، فذهب إلى النائم ، فلما دنا منه رجع قال : صدقت ، فذهب ، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين ، فقال : أخبرني على أي آية نمت ؟ قال : على هذه الآية : (إنَّ رَبَّكُم اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ في سِتَّةِ أيام ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُه حَثِيثاً والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمين) [الأعراف : ٥٣] .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم : كنت أرى في داري ... [(١)] فقيل : يا أبا النضر تحوَّل عن جوارنا ، قال : فاشْتَدَّ ذلكَ عليَّ ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس ، والمحاربي ، وأبي أسامة ، فكتب إليَّ المحاربي : إن بئراً بالمدينة كان يقطع رشاؤها ، فنزل بهم ركب ، فشكَوْا ذلك إليهم ، فدعوا بدَلْوٍ من ماءٍ ، ثم تكلموا بهذا الكلام ، فصبُّوه في البئر ، فخرجت نار من البئر ، فطفئت على رأس البئر ، قال أبو النضر : فأخذت تَوْراً من ماء ، ثم تكلَّمت فيه بهذا الكلام ، ثم تتبَّعت به زوايا الدار ، فرشَشْتُه ، فصاحوا بي : أحرَقْتَنا ، نحن نتحول عنك . وهو : بسم الله ، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع ، وبعِزَّةِ اللهِ التي لا ترام ولا تضام ،

---

(١) سقط شيء من الكلام . والمفهوم بالقرينة أنه كلم من كان يراهم ، فقيل له : يا أبا النضر الخ .

وبسلطان الله المنيع نحتجب ، وبأسمائه الحسنى كلّها عائذ من الأبالسة ، ومن شَرّ شياطين الإنس والجن ، ومن شر كل معلن أو مسر ، ومن شر مايخرج بالليل ويكمن بالنهار ، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار ،ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومنشرّ إبليس وجنوده ، ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها إنَّ ربي على صراط مستقيم ، أعوذ بالله: بما استعاذ به موسى،وعيسى ، وإبراهيم الذي وفى ، من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر ما يبغي . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، (بسم الله الرحمن الرحيم : والصَّافَّاتِ صَفّاً ، فالزّاجِرَاتِ زَجْراً ، فالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ، إنَّ إلٰهَكُم لواحِدٌ ، رَبُّ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُما وربُّ المَشَارِقِ ، إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيَا بزِينَةٍ الكَوَاكِبِ ، وحِفْظَاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لا يَسَّمَّعُونَ الىٰ المَلَإِ الأَعْلىٰ ويُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إلاَّ مَنْ خَطفَ الخَطْفَةَ فأتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) [الصافات : ١ ـ ١٠] .

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد : يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى . ولنذكر فصولاً نافعة تتعلق بالذكر تكميلاً للفائدة :

الرابعة والسبعون : الذكر نوعان : أحدهما : ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته ، والثناء عليه بهما ، وتنزيهه وتقديسه عما لايليق به تبارك وتعالى ، وهذا أيضاً نوعان : أحدهما : إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الأحاديث ، نحو : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » ، و « سبحان الله

وبحمده » ، و « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » ، ونحو ذلك . فأفضل هذا النوع ، أجمعه للثناء ، وأعمه ، نحو « سبحان الله عدد خلقه » ، فهذا أفضل من مجرد « سبحان الله » ، وقولك : « الحمد لله عدد ما خلق في السماء ، وعدد ما خلق في الأرض ، وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق » أفضل من مجرد قولك : « الحمد لله » .

وهذا في حديث جويرية ، أن النبيَّ ﷺ قال لها : « لقد قلتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلِماتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، لوْ وُزِنَتْ بِمَا قلتِ منذ اليوم لوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحانَ اللهِ عدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَى نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِماتِهِ » رواه مسلم[1] .

وفي الترمذي وسنن أبي داود ، عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة بين يَدَيْها نوى أو حصَى تسبِّحُ بها ، فقال : « أُخبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عليك من هٰذَا أو أفضل » فقال : سبحَانَ اللهِ عَدَدَ ما خلقَ في السَّماءِ ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خلقَ في الأرْضِ ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ ما بينَ ذلكَ ، وسُبْحَانَ اللهِ عدد ما هو خَالِقٌ ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا اللهُ مثل ذلك ، ولا حَوْلَ ولا

(١) رقم ٢٧٢٦ في الذكر ، باب التسبيح أول النهار ، وعند النوم ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ١٥٠٣ في الصلاة ، باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم ٣٥٥٠ في الدعوات ، باب رقم ١١٧ .

قُوَّةَ إلاَّ بالله مثل ذلك »[1] .

الخامسة والسبعون: [2] الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته[3] ونحو ذلك .

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى به عليه رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل .

وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع : حَمْدٌ ، وثَنَاءٌ ، ومَجْدٌ .

فالحمد لله : الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى ، مع محبته والرضى به ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ، ولا المثني بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء ، فان كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناءً ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً .

---

(١) رواه أبو داود رقم ١٥٠٠ في الصلاة ، باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم ٣٥٦٣ في الدعوات ، باب دعاء النبي ﷺ وتعوذه في دبر كل صلاة ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٢٣٣٠) « موارد » ، وهو حديث حسن بشواهده . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وانظر شرح الأذكار لابن علان ١/٢٤٤ .

(٢) وهو النوع الثاني بعد إنشاء الثناء على الله تعالى من الذاكر .

(٣) أي إذا وجدها .

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة ، فإذا قال العبد (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين) ، قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم) ، قال : أثنى عليَّ عبدي ، واذا قال : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّين) قال : مجّدني عبدي »[1] .

السادسة والسبعون[2] : من الذِّكْرِ : ذِكْر أمره ونهيه وأحكامه .

وهو أيضاً نوعان :

أحدهما : ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا ، ونهى عن كذا ، وأحب كذا ، وسخط كذا ، ورضي كذا .

والثاني : ذكره عند أمره ، فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فَذِكْره أفضلُ الذِّكْر وأجلُّه وأعظمُه .

فائدة : فهذا الذكر من الفقه الأكبر ، وما دونه أفضل الذكر اذا صحت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه وتعالى : ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ، ومواقع فضله على عبيده ، وهذا أيضاً من أجلِّ أنواع الذِّكر .

---

(١) هو جزء من حديث رواه مالك في « الموطأ » ١/٨٤ و ٨٥ في الصلاة ، باب القراءة خلف الإمام فيما لايجهر فيه بالقراءة ، ومسلم رقم ٣٩٥ في الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من حديث أبي هريرة .

(٢) هو النوع الثاني من أصل نوعي الذكر .

فهذه خمسة أنواع :

وهي تكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر .

وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية .

وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة .

فأفضل الذكر : ما تواطأ عليه القلب واللسان. وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ، لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ، ويهيِّج المحبة ، ويُثِيرُ الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، ويَزَع [1] عن التقصير في الطاعات ، والتهاون في المعاصي والسيئات ، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه الآثار ، وإن أثمر شيئاً منها ، فثمرة ضعيفة .

السابعة والسبعون : الذكر أفضل من الدعاء .

الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه ، والدعاء سؤال العبد حاجته ، فأين هذا من هذا ؟.

ولهذا جاء في الحديث : « مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتي أعْطَيْتُه أفضل مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ » [2] .

---

(١) أي : يمنع ويحبس .

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٩٢٧ في ثواب القرآن ، باب رقم ٢٥ ، والدارمي ٤٤١/٢ ، وإسناده ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، ولعله حسنه ببعض الشواهد .

ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى، والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته. كما في حديث فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إِذَا صَلَّى أَحدُكم فلْيَبْدَأْ بتَمْجِيدِ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ والثَّنَاءِ عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء» رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم في «صحيحه»[1]. وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبي ﷺ: «دَعْوَةُ أخي ذي النون، ما دعا بها مَكْرُوبٌ الاَّ فَرَّجَ اللهُ كُرْبَتَهُ: (لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمين) وفي الترمذي: دَعْوَةُ أخي ذي النون إذ دعا وهو بطن الحوت (لاَ اله الاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمين) فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قطُّ إلا استجاب [الله] له»[2].

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٦/١٨، والترمذي رقم ٣٤٧٥ في الدعوات، باب رقم ٦٦، ورواه أيضاً أبو داود رقم ١٤٨١ في الصلاة، باب الدعاء، والحاكم ١/٢٣٠، وإسناده حسن. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٥٠٠ في الدعوات رقم ٨٥ وهو حديث حسن، ورواه الحاكم ١/٥٠٥ وصححه ووافقه الذهبي.

ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رَبُّ العرش العظيم ، لا إله إلا الله رَبُّ السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم »(١) .

ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن ، وابن حبان في « صحيحه » : أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »(٢) .

وروى أبو داود ، والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا : « اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حيُّ يا قيومُ . فقال النبي ﷺ : « لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي

---

(١) رواه البخاري ١١/١٢٣ في الدعوات ، باب الدعاء في الكرب ، وفي التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) ، ومسلم رقم ٢٧٣٠ في الذكر ، باب دعاء الكرب من حديث ابن عباس .

(٢) رواه الترمذي رقم ٤٣٧١ في الدعوات ، باب رقم ٦٥ ، وأبو داود رقم ١٤٩٣ في الصلاة ، باب الدعاء ، وابن حبان رقم ٢٣٨٣ « موارد » ، وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً الحاكم ١/٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي .

إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[1] .

فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر ، وأنه اسم الله الأعظم ، فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه .

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء ، أنه يجعل الدعاء مستجاباً .

فالدعاء الذي يقدمه الذكر والثناء ، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد ، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته ، وافتقاره واعترافه ، كان أبلغ في الإجابة وأفضل ، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله ، وعرّض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته ، فهذا المقتضي منه ، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله ، فاجتمع المقتضي من السائل ، والمقتضى من المسؤول في الدعاء ، وكان أبلغ وألطف موقعاً ، وأتم معرفة وعبودية .

وأنت ترى في الشاهد ـ ولله المثل الأعلى ـ أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره ، وذكر حاجته هو ، وفقره ومسكنته ، كان أعطف لقلب المسؤول ، وأقرب لقضاء حاجته .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٥٣٨ في الدعوات ، باب رقم ١٠٩ ، وأبو داود رقم ١٤٩٥ في الصلاة ، باب الدعاء ، والنسائي ٥٢/٣ في السهو ، باب الدعاء بعد الذكر ، وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم ٢٣٨٢ « موارد » ، والحاكم ٥٠٤/١ وصححه ووافقه الذهبي .

فإذا قال له : أنت جودك قد سارت به الركبان ، وفضلك كالشمس لا تنكر ، ونحو ذلك ، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه ونحو ذلك ، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداءً : أعطني كذا وكذا .

فاذا عرفت هذا ، فتأمل قول موسى ﷺ في دعائه : (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ اليَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص : ٢٤] وقول ذي النون ﷺ في دعائه : (لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظالمين) [الأنبياء : ٨٧] . وقول أبينا آدم ﷺ : (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين) [الأعراف : ٢٣] .

وفي «الصحيحين» : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يارسول الله! علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، فقال : « قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم »[١] .

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر ، بين الاعتراف بحاله ، والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده ، وأنه المنفرد بغفران الذنوب ، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً ، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية .

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٦٥ في صفة الصلاة ، باب الدعاء قبل السلام ، وفي الدعوات ، باب الدعاء في الصلاة ، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وكان الله سميعاً بصيراً) ، ومسلم رقم ٢٧٠٥ في الذكر ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر .

التاسعة والسبعون : قراءة القرآن أفضل من الذِّكْر ، والذِّكْر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً .

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل بعينه ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود ، فانه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة ، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد ، وكذلك : « رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني » بين السجدتين أفضل من القراءة ، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة – ذكر التهليل ، والتسبيح ، والتكبير ، والتحميد – أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة ، وكذلك إجابة المؤذن ، والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره ، اختلت الحكمة ، وفقدت المصلحة المطلوبة منه .

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن . مثاله : أن يتفكر في ذنوبه ، فيحدث ذلك له توبة من استغفار ، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن ، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه .

وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية اذا اشتغل عن سؤالها

بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيها ، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء اليها ، اجتمع قلبه كله على الله تعالى ، وأحدث له تضرُّعاً وخشوعاً وابتهالاً ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع ، وإن كان كلٌّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً .

وهذا باب نافع يحتاج الى فقه نفس ، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطى كل ذي حق حقه ، ويوضع كل شيء موضعه .

فللعين موضع ، وللرِّجْل موضع ، وللماء موضع ، وللحم موضع ، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي ، والله تعالى الموفق .

وهكذا الصابون والأُشنان ، أنفع للثوب في وقت ، والتجمير وماء الورد وكيُّه أنفع له في وقت .

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوماً : سئل بعض أهل العلم : أيما أنفع للعبد ، التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال : إذا كان الثوب نقياً ، فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإن كان دَنِساً فالصابون والماء الحار أنفع له . فقال لي رحمه الله تعالى : فكيف والثياب لا تزال دنسة ؟.

ومن هذا الباب : أن سورة (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن ، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث ، والطلاق ، والخلع ،

والعِدَد ونحوها ، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص .

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء ، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه ، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده ، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء .

فهذا أصل نافع جداً ، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها ، فيربح إبليس الفضل الذي بينهما ، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك وقته ، فتفوته مصلحته بالكلية ، لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً .

وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال ، وتفاوتها ، ومقاصدها ، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه ، وتنزيله في مرتبته ، وتفويته لما هو أهم منه ، أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل ، لإمكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه ، فالاشتغال به أولى — وهذا كترك القراءة لرد السلام ، وتشميت العاطس — . وإن كان القرآن أفضل ، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل ، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس ، وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت . والله تعالى الموفق .

فصل

في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها

لشدة الحاجة إليها ، وعظم الانتفاع في الآجل والعاجل بها

وفيه فصول

الفصل الأول : في ذكر طرفي النهار

وهما بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب ، قال سبحانه وتعالى : (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيْلاً) [الأحزاب : ٤١ ، ٤٢] والأصيل : قال الجوهري : هو الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه : أُصُل وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة .

قال الشاعر (١) :

لَعَمْري لَأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ وَأَقْعُدُ في أَفْيَائِه بالأَصَائِلِ

ويجمع أيضاً على أُصْلان ، مثل بعير وبُعْرَان ، ثم صغَّروا الجمع فقالوا : أُصَيْلان ، ثم أبدلوا من النون لاماً ، فقالوا : أُصَيْلال .

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي .

قال الشاعر[1] :

وَقفْتُ فيهَـــا أُصَيْلالاً أُسَائِلُهَا   أَعْيَتْ[2] جوَاباً ومَا بالرَّبْعِ من أَحدِ

وقال تعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بالعَشِيِّ وَالإبْكَارِ ﴾ [غافر:٥٥] فالإبكار: أول النهار، والعشيُّ : آخره ، وقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩] وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث : من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي ، أن المراد به : قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به ، إلا أحد قال مثل ما قال ، أو زاد عليه »[3] .

وفي « صحيحه » أيضاً عن ابن مسعود قال : كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى المُلْكُ لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلْكُ ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ربِّ أسألكَ خيرَ ما في هذه الليلة ، وخير ما بعدَها ، وأعوذ بك من

---

(١) هو النابغة الذبياني .

(٢) كذا في النسخ المطبوعة : أعيت ، كما في بعض الروايات للبيت . وفي اللسان وأكثر مصادر الشعر : عيت بالتشديد،وهو أصوب ، أي : لم تدر ما وجه الجواب .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٦٩٢ في الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

شر ما في هذه الليلة وشرِّ ما بعدها ، ربِّ أعوذُ بك من الكسل وسوء الكِبر ، ربِّ أعوذُ بك من عذابٍ في النار ، وعذابٍ في القبر ، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : أصبحنا وأصبح الملك لله »[1] .

وفي « السنن » : عن عبد الله بن خُبيب[2] قال : قال رسول الله ﷺ : « قل » قلت : يا رسول الله ، ما أقول ؟ قال : قل : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) والمعوذتين ، حين تمسي ، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[3] .

وفي الترمذي أيضاً : عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ كان يعلِّم أصحابه يقول : « إذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور ، وإذا أمسى[4] فليقل : اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير » ، قال الترمذي : حديث حسن[5] صحيح[6] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٧٢٩ في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل .

(٢) في النسخ المطبوعة : حبيب بالمهملة ، والتصويب من كتب الحديث وكتب الرجال .

(٣) رواه أبو داود رقم ٥٠٨٢ في الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم ٣٥٧٠ في الدعوات ، باب رقم ١٢٧ وإسناده حسن .

(٤) قال الأستاذ الألباني في تعليقه على هذا الحديث في « الكلم الطيب » صفحة (٣٢) : ليس عنده - يعني الترمذي - وإذا أمسى ... الخ وهذه الزيادة عند ابن ماجه . نقول : بل هي عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم ، خلافاً لما قال .

(٥) في نسخ الترمذي المطبوعة : حديث حسن .

(٦) رواه الترمذي رقم ٣٣٨٨ في الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح =

وفي « صحيح البخاري » عن شداد بن أوس ، عن النبي ﷺ قال : « سيّد الاستغفار : اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها حين يمسي ، فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها حين يصبح ، فمات من يومه دخل الجنة »(١) .

وفي الترمذي عن أبي هريرة : أن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ : مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت . قال : « قل : اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السموات والأرض ، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نَجرَّه إلى مسلم(٢) . قله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح(٣) .

= وإذا أمسى ، وأبو داود رقم ٥٠٦٨ في الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم ٣٨٦٨ ، وابن حبان رقم ٢٣٥٤ « موارد » ، والبخاري في « الأدب المفرد » رقم ١١٩٩ ، باب ما يقول إذا أصبح ، وهو حديث صحيح ، وقد صححه الحافظ ابن حجر في « أمالي الأذكار » كما في « الفتوحات الربانية » لابن علان ٨٦/٣ ، ولفظ الحديث إلى « الأدب المفرد » للبخاري أقرب من لفظ الترمذي.

(١) رواه البخاري ٨٣/١١ في الدعوات ، باب أفضل الاستغفار ، وباب ما يقول إذا أصبح.

(٢) جملة « وأن نقترف سوءاً على أنفسنا ، أو نجره إلى مسلم » رواية أخرى من حديث عبد الله بن عمرو عند الترمذي رقم ٣٥٢٦ ومن حديث أبي مالك الأشعري عند أبي داود رقم ٥٠٨٣ وهي رواية صحيحة .

(٣) وهو كما قال ، رواه الترمذي رقم ٣٣٨٩ في الدعوات ، باب رقم ١٤ ، وأبو داود رقم ٥٠٦٧ في الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ورواه أيضاً الحاكم ٥١٣/١ وصححه ووافقه الذهبي.

وفي الترمذي أيضاً عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يقول في صباح كلّ يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لايضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميـع العليم ـ ثلاث مرات ـ فيضره شيء » . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح[1] .

وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يمسي وإذا أصبح : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، كان حقاً على الله أن يرضيه » وقال : حديث حسن[2] صحيح[3] .

وفي الترمذي أيضاً : عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك ، وملائكتك ، وجميـع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعـه من النار ، ومن قالها مرتين ، أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثاً ، أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، ومن قالها أربعاً ، أعتقه الله من النار »[4] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٣٨٥ في الدعوات ، باب ما جـاء إذا أصبح وأمسى ، وإسناده حسن .

(٢) الذي في نسخ الترمذي المطبوعة : حسن غريب ، وهو أصوب .

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٣٨٦ في الدعوات ، باب ما جاء في الدعـاء إذا أصبح وإذا أمسى ، وهو حديث حسن ، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار .

(٤) رواه الترمذي رقم ٣٤٩٥ في الدعوات ، باب رقم ٨١ ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٥٠٦٩ في الأدب ، باب مـا يقول إذا أصبح واللفظ له وهو حديث حسن بشواهده ، وانظر « شرح الأذكار » ٣/١٠٥ و ١٠٦ .

وفي « سنن أبي داود » عن عبد الله بن غنَّام ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك ، لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر ، فقد أدَّى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي ، فقد أدى شكر ليلته »[1] .

وفي « السنن » و « صحيح الحاكم » عن عبد الله بن عمر قال : لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي ، وحين يصبح : « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يديَّ ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي »[2] قال وكيع : يعني الخسف .

وعن طلق بن حبيب قال : جاء رجل الى أبي الدرداء فقال : يا أبا الدرداء ، قد احترق بيتك . فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك ،

---

(١) رواه أبو داود رقم ٥٠٧٣ في الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم ٢٣٦١ « موارد » ووقع عنده : عبد الله بن عباس ، بدل « عبد الله بن غنام » وهو خطأ ، وفي سنده عبد الله بن عنبسة ، وهو مجهول ، ومع ذلك فقد حسنه الحافظ كما في « شرح الأذكار » ١٠٧/٣ .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥٠٧٤ في الأدب ، باب مايقول إذا أصبح ، وابن ماجه رقم ٣٨٧١ في الدعاء ، والحاكم ٥١٧/١ وصححه ووافقه الذهبي . وقال الحافظ في « أمالي الأذكار » : حديث حسن ، كما في « الفتوحات الربانية » لابن علان ١٠٨/٣ .

لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ ، من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسي ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللهم أنت ربي لا إله الا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم . ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم »[1] .

الفصل الثاني في أذكار النوم

في « الصحيحين »[2] عن حذيفة قال : كان رسول الله ﷺ اذا أراد أن ينام قال : « باسمك اللهم أموت وأحيا » واذا استيقظ من منامه قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور »[3] .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، عن عائشة ، أن النبي ﷺ كان اذا

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ص ٢٠ و ٢١ وإسناده ضعيف ، ثم رواه بنحوه من طريق آخر ضعيف . وقال العراقي في تخريجه : رواه الطبراني بسند ضعيف .

(٢) هو عند البخاري فقط .

(٣) رواه البخاري ٩٦/١١ فى الدعوات ، باب ما يقول إذا نام ، وباب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن ، وباب ما يقول إذا أصبح ، وفى التوحيد ، باب السؤال بأسماء الله تعالى .

أوى الى فراشه كل ليلة ، جمع كفيه ، ثم نفث فيهما يقرأ فيهما : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحدٌ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق) و (قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات[1] .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي هريرة أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة ، وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ليلة بعد ليلة ، فلما كان في الليلة الثالثة قال : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : دعني أعلمْك كلمات ينفعك الله بهن - وكان[2] أحرص شيء على الخير - فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (اللهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ) حتى ختمها[3] ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب »[4] وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة في « مسنده » أنها جرت لأبي الدرداء[5] ، ورواها الطبراني في

---

(١) رواه البخاري ٩/٥٦ في فضائل القرآن ، باب فضل المعوذات ، وفي الطب ، باب النفث في الرقية ، وفي الدعوات ، باب التعوذ والقراءة عند النوم ، ومسلم رقم ٢١٩٢ في السلام ، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث .

(٢) في نسخ البخاري المطبوعة : وكانوا ، يعني الصحابة .

(٣) في نسخ البخاري : حتى تختم الآية .

(٤) تقدم تخريجه والكلام عليه ص ١٤٦ .

(٥) لم نجد في « مسند أحمد » أن القصة وقعت لأبي الدرداء وإنما الذي في « المسند » ٥/٤٢٣ أن القصة وقعت لأبي أيوب الأنصاري ، وقد رواه أيضاً الترمذي رقم ٢٨٨٣ في ثواب القرآن ، باب فضل آية الكرسي ، وهو حديث حسن .

« معجمه » أنها جرت لأبيّ بن كعب[1] .

وفي « الصحيحين » عن أبي مسعود الأنصاري ، عن النبي ﷺ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة [في ليلةٍ] كفتاه »[2] .

الصحيح : أن معناها : كفتاه من شر ما يؤذيه ، وقيل : كفتاه من قيام الليل ، وليس بشيء .

وقال علي بن أبي طالب : ما كنت أرى أحداً يَغْفُل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قام أحدكم عن فراشه ، ثم رجع إليه ، فَلْيَنْفُضْه بصَنِفَةِ إزَارِهِ[3] ثلاث مرات ، فإنه لا يدري ما خلَفه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك اللهم ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسي فارحمها ،

---

(١) الذي في الطبراني أنها جرت لمعاذ بن جبل ، وذكر الحافظ في « الفتح » : أن قصة أبي رواها النسائي . نقول : ولم نجدها عند النسائي ولعلها في الكبرى .

(٢) رواه البخاري ٩/٥٠ في « فضائل القرآن » ، باب فضل سورة البقرة ، وباب من لم ير بأساً أن يقول : سورة البقرة ، وباب كم يقرأ القرآن ، وفي المغازي ، باب شهود الملائكة بدراً ، ومسلم رقم ٨٠٨ في صلاة المسافرين ، باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة .

(٣) قال ابن الأثير في « النهاية » : صنفة الأزار (بفتح الصاد) : طرفه مما يلي طرته .

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »[1] .

وفي « الصحيحين » عنه عن النبي ﷺ : « اذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي عافاني في جسدي ، ورد عليّ روحي ، وأذن لي بذكره »[2] .

وقد تقدَّم حديث علي ، ووصية النبي ﷺ له ولفاطمة رضي الله تعالى عنهما : أن يسبِّحا اذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثاً وثلاثين ، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ، ويكبرا أربعاً وثلاثين ، وقال : « هو خير لكما من خادم » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه : بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه اعياء فيما يعانيه من شغل وغيره .

وفي « سنن أبي داود » عن حفصة أم المؤمنين : أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يرقد ، وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول : « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » ثلاث مرات[3] ، قال الترمذي : حديث حسن[4] .

---

(١) رواه البخاري ١١/١٠٧ في الدعوات ، باب التعوذ والقراءة عند المنام ، وفي « التوحيد » ، باب السؤال بأسماء الله تعالى ، ومسلم رقم ٢٧١٤ في الذكر ، باب ما يقول عند النوم ورواه أيضاً الترمذي رقم ٣٣٩٨ في الدعوات ، باب رقم ٢٠ واللفظ الذي ساقه المصنف هنا قريب من لفظ الترمذي .

(٢) ليس هو في « الصحيحين » بهذا اللفظ كما ذكر المصنف ، بل هو عند ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ص/ ٥ وهو عند الترمذي جزء من الحديث الذي قبله ، وإسناده حسن .

(٣) رواه أبو داود رقم ٥٠٤٥ ، في الأدب ، باب ما يقال عند النوم وهو حديث صحيح .

(٤) رواه الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه رقم ٣٣٩٥ في الدعوات، باب رقم ١٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وفي « صحيـح مسلم » عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا أوى الى فراشه قال : « الحمد لله الذي أطعمنـا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافيَ له ، ولا مؤوي »[1].

وفي « صحيحه » أيضاً ، عن ابن عمر أنه أمر رجلاً اذا أخـذ مضجعه أن يقول : « اللهم أنت خلقت نفسي ، وأنت تتوفّاها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتّها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية » . قال ابن عمر : سمعتهن من رسول الله ﷺ[2].

وفي الترمذي ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال حين يأوي إلى فراشه : أستغفر الله [العظيم] الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ـ ثلاث مرات ـ غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، [وإن كانت عدد ورق الشجر] وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا »[3].

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : « اللهم رب السموات ، ورب الأرض ، ورب العرش العظيم ، ربنـا ورب كل شيء ، فالق الحب والنـوى ، ومنزل التوراة

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٧١٥ في الذكر ، باب ما يقول عند النوم .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧١٢ في الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجـع .

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٣٩٤ في الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه ، وإسناده ضعيف .

والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شرِّ كل ذي شرٍّ[1] أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخِر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر »[2] .

وفي « الصحيحين » عن البراء بن عازب قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مِتَّ مِتَّ على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول »[3] .

الفصل الثالث في أذكار الانتباه من النوم

روى البخاري في « صحيحه » ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ قال : « من تعارَّ من الليل[4] فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) هذا لفظ أحمد وأبي داود ، ولفظ مسلم والترمذي : «أعوذ بك من شر كل شيء» .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧١٣ في الذكر ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٣) رواه البخاري ١١/٩٧ في الدعوات ، باب ما يقول إذا نام ، وباب إذا بات طاهراً ، وباب النوم على الشق الأيمن ، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) ، ومسلم رقم ٢٧١٠ في الذكر ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٤) تعار : استيقظ من النوم مع كلام .

له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا ، استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته »[1] .

وفي الترمذي عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أوى الى فراشه طاهراً ، وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس ، لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيراً الا أعطاه إياه » حديث حسن[2] .

وفي « سنن أبي داود » ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال : « لا إله الا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لَدُنْكَ رحمة إنك أنت الوهاب »[3] .

---

(١) رواه البخاري ٣/٣٣ في التهجد ، باب فضل من تعار من الليل فصلى .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٥٢٥ في الدعوات ، باب رقم ١٠٠ وإسناده ضعيف لكن له شواهد يقوى بها ، فلذلك قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وحسنه الحافظ في « أمالي الأذكار » بشواهده كما في « الفتوحات الربانية » ٣/١٦٥ لابن علان

(٣) رواه أبو داود رقم ٥٠٦١ في الأدب ، باب ما يقال عند النوم ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم ٢٣٥٩ « موارد » ، والحاكم في « المستدرك » ١/٥٤٠ وصححه ووافقه الذهبي . وفي سنده عبد الله بن الوليد بن قيس التجيبي البصري ، وهو لين الحديث كما قال الحافظ في « التقريب » .

الفصل الرابع في أذكار الفزع في النوم والفكر

روى الترمذي عن بريدة قال : شكا خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما أنام الليل من الأرق . فقال النبي ﷺ : « إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلَّت ، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليَّ أحد منهم ، أو يبغي[1] عليَّ ، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك ، ولا إله إلا أنت »[2] .

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم من الفزع كلمات : « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه [وعقابه] ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون »[3] .

وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه[4] .

الفصل الخامس في أذكار من رأى رؤيا يكرهها او يحبها

في « الصحيحين » عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) في النسخ المطبوعة من هذا الكتاب : يطغى ، وما أثبتناه من نسخ الترمذي .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٥١٨ في الدعوات ، باب رقم ٩٦ وفي سنده الحكم ابن ظهير ، وهو متروك ، وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بالقوي .

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٥١٩ في الدعوات ، باب رقم ٩٦ ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٣٨٩٣ في الطب ، باب كيف الرقى ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٤) انظر « جامع الأصول » ٢٧٣/٤ و ٢٧٤ .

« الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لن تضره إن شاء الله » . قال أبو قتادة : كنت أرى الرؤيا تمرضني ، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرؤيا الصالحة من الله ، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به ، وليتفل عن يساره ، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومن شر ما رأى ، فإنها لا تضره »[(١)] .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر ، عن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها ، فليبصق عن يساره ثلاث مرات ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه »[(٢)] .

ويذكر عن النبي ﷺ أن رجلاً قص عليه رؤيا فقال : « خيراً رأيت ، وخيراً يكون » .

وفي رواية : « خيراً تلقاه ، وشراً توقاه . خيراً لنا ، وشراً على أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين »[(٣)] .

---

(١) رواه البخاري ١٠/١٧٧ و ١٧٨ في الطب ، باب النفث والرقية ، وفي بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وفي التعبير ، باب الرؤيا من الله ، وباب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، ومسلم رقم ٢٢٦١ في الرؤيا في فاتحته .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٦٣ في الرؤيا في فاتحته .

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ص ٢٤٨ بإسنادين ضعيفين .

الفصل السادس في أذكار الخروج من المنزل

في « السنن » عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال – يعني إذا خرج من بيته – : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، يقال له : كُفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي ؟ »[1] .

وفي مسند الإمام أحمد :«بسم الله ، آمنت بالله ، واعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله »[2] حديث حسن . وفي السنن الأربع ، عن أم سلمة قالت : ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال : « اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[3] .

---

(١) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٥ في الأدب ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ، والترمذي رقم ٣٤٢٢ في الدعوات ، باب رقم ٣٤ وهو حديث صحيح ، وقد أخرجه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم ٢٣٧٠ « موارد » .

(٢) رواه أحمد في «المسند» رقم ٤٧١ وفي سنده مجهول ،لكن يشهد لهمعنى الذي قبله .

(٣) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٤ في الأدب ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ، والترمذي رقم ٣٤٢٣ في الدعوات ، باب رقم ٣٥ ، والنسائي ٢٦٨/٨ في الاستعاذة ، باب الاستعاذة من الضلال ، وابن ماجه رقم ٣٨٨٤ في الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته ، وإسناده صحيح .

الفصل السابع في أذكار دخول المنزل

في « صحيح مسلم » عن جابر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل الرجل بيته ، فذكر الله تعالى عند دخوله ، وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاءَ ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعَشاء »[1] .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ولج الرجل بيته ، فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج ، وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وبسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا ، ثم ليسلِّم على أهله »[2] .

وفي الترمذي عن أنس ، قال لي رسول الله ﷺ : « يا بنيَّ إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك »[3] . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[4] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٠١٨ في الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٦ في الادب ، باب ما يقول إذا خرج من بيته ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه الترمذي رقم ٢٦٩٩ في الدعوات ، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٤) قال الحافظ في تخريج الأذكار : أخرجه الترمذي وقال : حديث غريب كذا في كثير من النسخ المعتمدة منها بخط الحافظ أبي علي الصدفي ، ووقع بخط الكروخي : حسن صحيح .

الفصل الثامن في أذكار دخول المسجد والخروج منه

في « صحيح مسلم » ، عن أبي حميد ، أو أبي أُسَيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم إلى المسجد ، فليسلم على النبي ﷺ وليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك »[(١)] .

وفي « سنن أبي داود » ، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : أنه [كان] إذا دخل المسجد قال: « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » فإذا قال ذلك ، قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم »[(٢)] .

الفصل التاسع في أذكار الأذان

في « الصحيحين » عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن »[(٣)] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٧١٣ في صلاة المسافرين ، باب ما يقول إذا دخل المسجد ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٤٦٥ في الصلاة ، باب ما يقوله الرجل عند دخول المسجد ، والنسائي ٥٣/٣ في المساجد ، باب القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه ، وجملة : « فليسلم على النبي ﷺ » ليست عند مسلم ، وإنما هي عند أبي داود .

(٢) رواه أبو داود رقم ٤٦٦ في الصلاة ، باب ما يقوله الرجل عند دخوله المسجد ، وإسناده جيد .

(٣) رواه البخاري ٧٤/٢ في الأذان باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، ومسلم رقم ٣٨٣ في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمرو ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذِّن ، فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم قال : حيَّ على الصلاة ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : حيَّ على الفلاح ، قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله من قلبه ، دخل الجنة »[2] .

وفي « صحيح البخاري » عن جابر : أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ،

---

(١) رواه مسلم رقم ٣٨٤ في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن .

(٢) رواه مسلم رقم ٣٨٥ في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه .

حلت له شفاعتي يوم القيامة »[1] .

وفي « سنن أبي داود » ، عن عبد الله بن عمرو قال : يا رسول الله ، إن المؤذنين يفضلوننا . فقال رسول الله ﷺ : « قل كما يقولون ، فإذا انتهيت ، فسل تعطه »[2] .

وفي الترمذي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعاء لايرد بين الأذان والإقامة » . قالوا : فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح[3] .

وفي « سنن أبي داود » ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « ثنتان لا تُردَّان ، أو قلَّما تُردَّان : الدعاء عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً »[4] .

وفي « سنن أبي داود » عن أم سلمة قالت : علَّمني رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري ٢/٧٧ و ٧٨ في الأذان ، باب الدعاء عند النداء .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥٢٤ في الصلاة ، باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، وإسناده حسن .

(٣) رواه الترمذي رقم ٢١٢ في الصلاة ، باب ما جاء أن الدعـاء لايرد بين الأذان والإقامة ، ورقم ٣٥٨٨ و ٣٥٨٩ في الدعوات ، باب أي الكلام أحب إلى الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/١١٩ و ١٥٥ و ٢٥٤ ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٤) رواه أبو داود رقم ٢٥٤٠ في الجهاد ، باب الدعاء عند اللقـاء ، وهو حديث صحيـح ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم ٢٩٧ و ٢٩٨ « موارد » .

أن أقول عند المغرب : « اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك ، وحضور صلواتك ، فاغفر لي »[(١)].

وفي « سنن أبي داود » ، عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، أن بلالاً أخذ في الإقامة ، فلما أن قال : قد قامت الصلاة ، قال النبي ﷺ : « أقامها الله وأدامها »[(٢)].

فهذه خمس سنن في الأذان : إجابته ، وقول : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ، وسؤال الله تعالى لرسوله ﷺ الوسيلة والفضيلة ، والصلاة عليه ﷺ ، والدعاء لنفسه ما شاء .

وعن سعد بن أبي وقاص ، عن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، غفر الله له ذنوبه »[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود رقم ٥٣٠ في الصلاة ، باب ما يقول عند أذان المغرب ، ورواه أيضاً الترمذي رقم ٣٥٨٣ في الدعوات ، باب رقم ١٣٧ ، وفي سنده أبو كثير مولى أم سلمة ، وهو مجهول ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وأبو كثير لا يعرف.

(٢) رواه أبو دارد رقم ٥٢٨ في الصلاة ، باب ما يقول إذا سمع الإقامة وإسناده ضعيف .

(٣) رواه مسلم رقم ٣٨٦ في الصلاة ، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، وأبو داود رقم ٥٢٥ في الصلاة ، باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، والترمذي رقم ٢١٠ في الصلاة ، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذن المؤذن من الدعاء ولفظه في آخره عند مسلم والترمذي : غفر له ذنبه ، وعند أبي داود : غفر ذنبه .

الفصل العاشر في أذكار الاستفتاح

في « الصحيحين » أن النبي ﷺ كان يقول في استفتاحه : « اللهم باعد بيني وبين خطاياي ، كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقِّني من خطاياي ، كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد »[(١)] .

وفي « سنن أبي داود » ، عن جبير بن مطعم ، أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة قال : « الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، ثلاثاً ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه »[(٢)] . قال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه : الموتة[(٣)]

وفي « السنن الأربعة » ، عن عائشة وأبي سعيد وغيرهما ، أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال : « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جَدُّك ، ولا إله غيرك »[(٤)] . وهو في « صحيح

---

(١) رواه البخاري رقم ٢/١٩٠ و ١٩١ في الصلاة ، باب الدعاء بعد التكبير ومسلم رقم ٥٩٨ في المساجد ، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة .

(٢) رواه أبو داود رقم ٧٦٤ في الصلاة ، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء وهو حديث حسن بشواهده .

(٣) الموتة بواو ساكنة غير مهموزة : الجنون .

(٤) رواه أبو داود رقم ٧٧٦ في الصلاة ، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ، والترمذي رقم ٢٤٣ في الصلاة ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ، =

مسلم » عن عمر موقوف عليه[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله الا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت ، واصرف عني سيِّئها لا يصرف عني سيئها الا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كلُّه في يديك ، والشر ليس اليك ، أنا بك واليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب اليك » ، وكان اذا ركع يقول في ركوعه : « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي » ، وإذا رفع رأسه من الركوع يقول : « سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك

= وابن ماجه رقم ٨٠٦ في الإقامة ، باب افتتاح الصلاة من حديث عائشة ، ورواه الترمذي رقم ٢٤٢ في الصلاة ، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة ، وأبو داود رقم ٧٧٥ في الصلاة ، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم ، والنسائي ٢/ ١٣٢ في الافتتاح ، باب نوع آخر من الذكر بين الافتتاح والقراءة ، وابن ماجه رقم ٨٠٤ في الإقامة ، باب افتتاح الصلاة من حديث أبي سعيد ، وهو حديث حسن بطرقه .

(١) رواه مسلم رقم ٣٩٩ في الصلاة ، مرسلاً ، وقد وصله غيره .

الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعدُ » ، وإذا سجد يقول في سجوده : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » ، وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، إنك أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، لا إله إلا أنت »[(١)] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن عائشة : كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل : « اللهم رب جبريل [ومكائيل] وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »[(٢)] .

وفي « الصحيحين » : عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام الى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيَّام السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ،

---

(١) رواه مسلم رقم ٧٧١ في صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) رواه مسلم رقم ٧٧٠ في صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدّمت وما أخّرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت آلهي لا إله إلا أنت »[1] .

الفصل الحادي عشر

في ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين

في « السنن الأربعة » عن حذيفة رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول اذا ركع : « سبحان ربي العظيم » ثلاث مرات . واذا سجد قال : « سبحان ربي الأعلى » ثلاث مرات[2] .

وفيه حديث علي رضي الله عنه ، وقد سبق في الفصل قبله بطوله[3] .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول

---

(١) رواه البخاري ٣/٢ - ٤ في قيام الليل ، باب التهجد بالليل ، وفي التوحيد ، باب قوله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ، ومسلم رقم ٧٦٩ في صلاة المسافرين ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٦٢ في الصلاة ، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود ، وأبو داود رقم ٨٧١ في الصلاة ، ما يقول الرجل في سجوده وركوعه ، والنسائي ٢٢٦/٣ في قيام الليل ، باب تسوية القيام والركوع ، وفي الافتتاح ، باب ما يقوله في قيامه ذلك ، وباب الذكر في الركوع ، وابن ماجه رقم ٨٨٨ في إقامة الصلاة ، باب التسبيح في الركوع والسجود ، وهو حديث صحيح بشواهده .

(٣) تقدم تخريجه قبل الفصل الحادي عشر .

الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لي »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عنها رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : « سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح »[2] .

وفي « سنن أبي داود » عن عوف بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبحان ذي الجبروت ، والملكوت ، والكبرياء ، والعظمة »[3] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان رسولُ الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال : « اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، لامانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[4] .

---

(١) رواه البخاري ٢٤٧/٢ في صفة الصلاة ، باب التسبيح والدعاء في السجود ، وباب الدعاء في الركوع ، وباب التسبيح والدعاء في السجود ، ومسلم رقم ٤٨٤ في الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .

(٢) رواه مسلم رقم ٤٨٧ في الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .

(٣) رواه أبو داود رقم ٨٧٣ في الصلاة ، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، ورواه أيضاً النسائي ١٩١/٢ في الافتتاح ، باب نوع آخر من الذكر في الركوع ، وإسناده حسن .

(٤) رواه مسلم رقم ٤٧٧ في الصلاة ، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ، وليس عنده في حديث أبي سعيد « وملء ما بينهما » بل هي عنده من حديث ابن عباس رقم (٤٧٨) .

وفي « صحيح البخاري » عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال : كنا نصلي يوماً وراءَ النبي ﷺ ، فلما رفع رأسه من الركعة قال : « سمع الله لمن حمده » ، فقال رجل وراءَه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فلما انصرف قال : « من المتكلم » ؟ قال : أنا يا رسول الله . قال : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملَكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »[2] .

وعنه رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دِقَّهُ ، وجِلَّهُ ، وأوَّلهُ وآخره ، وعلانيته ، وسرَّه »[3] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : افتقدت[4] النبي ﷺ ذات ليلة [من الفراش] ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[5] . روى مسلم هذه الأحاديث .

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٣٧ في صفة الصلاة ، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد .
(٢) رواه مسلم رقم ٤٨٢ في الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .
(٣) رواه مسلم رقم ٤٨٣ في الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود .
(٤) في نسخ مسلم المطبوعة : فقدتُ .
(٥) رواه مسلم رقم ٤٨٦ في الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، =

وفي « سنن أبي داود » عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين : « اللهم اغفر لي ، وارحمني ، واهدني ، واجبُرني ، وعافني ، وارزقني »[1].

وفي « السنن » أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه وأرضاه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين : « رب اغفر لي ، رب اغفر لي »[2].

الفصل الثاني عشر في أدعية الصلاة بعد التشهد

في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فرغ أحدكم من التشهد ، فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب القبر ، ومن عذاب جهنم ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال »[3]. وفيهما أيضاً عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة

= و « الموطأ » ١/٢٤١ في القرآن ، باب ما جاء في الدعاء وأبو داود رقم ٨٧٩ في الصلاة ، باب الدعاء في لركوع والسجود .

(١) رواه أبو داود رقم ٨٥٠ في الصلاة ، باب الدعاء بين السجدتين ، ورواه الترمذي رقم ٢٨٤ في الصلاة ، باب ما يقول بين السجدتين ، وهو حديث حسن ، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) تقدم تخريجه في جملة حديث طويل ص ١٩١ .

(٣) رواه البخاري ٣/١٩٢ في « الجنائز » ، باب التعوذ من عذاب القبر ومسلم رقم ٥٨٨ في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٩٨٣ في الصلاة ، باب ما يقول بعد التشهد .

المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم » ، فقال [له] قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال : « إن الرجل إذا غرِم حدَّث فكذب ، ووعد فأخلف »[1] .

وقد تقدم في « الصحيحين » ، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : علمني دعاءً أدعو به في صلاتي ، فقال : « قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم »[2] .

وفي « صحيح مسلم » من حديث علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله ﷺ وقد تقدم بطوله في الفصل العاشر[3] .

وفي « سنن أبي داود » أن النبي ﷺ قال لرجل : « كيف تقول في الصلاة » ؟ قال : أتشهد وأقول : اللهم إني أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار ، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال النبي ﷺ : « حولها ندندن »[4] .

---

(١) رواه البخاري ٢٦٣/٢ في صفة الصلاة ، باب الدعاء قبل السلام ، وفي الاستقراض ، باب من استعاذ من الدين ، وفي الفتن ، باب ذكر الدجال ، ومسلم رقم ٥٨٩ في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٦٣ .

(٣) تقدم تخريجه في ص ١٩٠ .

(٤) رواه أبو داود رقم ٧٩٢ و ٧٩٦ في الصلاة ، باب في تخفيف الصلاة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤٧٤/٣ وابن ماجه ، وقال البوصيري في « الزوائد » : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

وفي « المسند » و « السنن » ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته : « اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب »[1] .

وفي « سنن النسائي » : أن عمار بن ياسر صلى صلاة ، ودعا فيها بدعوات وقال : سمعتهن من رسول الله ﷺ : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني إذا علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى ، وأسألك القصد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفَد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم[2] ، والشوق إلى لقائك ، في غير ضراءَ مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا مهتدين »[3] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١٢٥/٤ والنسائي ٥٤/٣ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، والترمذي رقم ٣٤٠٤ في الدعوات ، وإسناده ضعيف ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم ٢٤١٦ « موارد » .

(٢) لفظة : « الكريم » ليست في نسخ النسائي المطبوعة .

(٣) رواه النسائي ٣ / ٥٤ و ٥٥ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، وإسناده جيد .

الفصل الثالث عشر

في الأذكار المشروعة بعد السلام ، وهو ادبار السجود

في « صحيح مسلم » عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً وقال : « اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام »[1].

وفي « الصحيحين » عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[2].

وفي « صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يهلل دُبُرَ كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له

---

(١) رواه مسلم رقم ٥٩١ في المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، ورواه أيضاً الترمذي رقم ٣٠٠ في الصلاة ، باب ما يقول إذا سلم من الصلاة ، والنسائي ٦٨/٣ في السهو ، باب الاستغفار بعد التسليم .

(٢) رواه البخاري ٢٧٥/٢ في صفة الصلاة ، باب الذكر بعد الصلاة ، وفي الدعوات ، باب الدعاء بعد الصلاة ، ومسلم رقم ٥٩٣ في المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .

النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : « من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وكبَّر الله ثلاثاً وثلاثين ، وحمِد الله ثلاثاً وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[2] .

وفي « السنن » عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « خَصلتان – أو خَلتان – لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، هما يسير ، ومن يعمل بهما قليل : يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً ، ويحمده عشراً ، ويكبِّره عشراً ، فذلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائة في الميزان . ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه ، ويحمد ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فذلك مائة باللسان ، وألف في الميزان » قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده . قالوا : يا رسول الله ، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل ؟ قال : « يأتي أحدَكم – يعني الشيطان – في منامه ، فينوِّمه قبل أن يقوله ، ويأتيه في صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها »[3] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٥٩٤ في المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .
(٢) رواه مسلم رقم ٥٩٧ في المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة .
(٣) رواه أبو داود رقم ٥٠٦٥ في الأدب ، باب في التسبيح عند النوم ، =

وفي « السنن » عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة[1] .

وفي « النسائي الكبير » عن أبي أمامة[2] قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت »[3] يعني لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت .

الفصل الرابع عشر في ذكر التشهد

في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود قال : علَّمني رسول الله ﷺ التشهد ـ وكفي بين كفيه ـ كما يعلمني سورة من القرآن : « التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »[4] .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ

= والترمذي رقم ٣٤٠٧ في الدعوات ، باب رقم ٢٥ والنسائي ٣/٧٤ و ٧٥ في السهو باب عدد التسبيح بعد التسليم ، وإسناده صحيح ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(١) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » وغيره ، وهو حديث صحيح .

(٢) في النسخ المطبوعة : عن أبي هريرة ، والتصحيح من كتب الحديث .

(٣) ورواه أيضاً الطبراني ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٤) رواه البخاري ٢/٢٥٧ و ٢٦١ في صفة الصلاة ، باب التشهد في الآخرة ، وباب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ، ومسلم رقم ٤٠٢ في الصلاة ، باب التشهد في الصلاة .

يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، وكان يقول : « التحيات المباركات ، الصلوات ، الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، و [أشهد] أن محمداً رسول الله »[١] .

وفي « صحيح مسلم » ، عن أبي موسى ، أن النبي ﷺ علمهم علمهم التشهد : « التحيات الطيبات ، الصلوات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »[٢] .

وروى أبو داود ، عن [ابن] عمر بن الخطاب[٣] ، عن رسول الله ﷺ في التشهد : « التحيات لله الصلوات الطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، [السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين] أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »[٤] .

وروى أبو داود ، عن سمرة بن جندب : أما بعد : أمرنا رسول الله ﷺ « إذا كان في وسط الصلاة ، أو حين انقضائها ، فابدؤوا قبل السلام[٥] فقولوا : « التحيات [الطيبات] والصلوات ، والملك لله ، ثم سلموا على اليمين ، ثم على قارئكم وعلى أنفسكم »[٦] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٤٠٣ في الصلاة ، باب التشهد في الصلاة .
(٢) رواه مسلم رقم ٤٠٤ في الصلاة ، باب التشهد في الصلاة .
(٣) في المطبوع : عن عمر بن الخطاب ، وهو خطأ .
(٤) رواه أبو داود رقم ٩٧١ في الصلاة ، باب التشهد ، وإسناده صحيح .
(٥) في نسخ أبي داود المطبوعة : قبل التسليم .
(٦) رواه أبو داود رقم ٩٧٥ في الصلاة ، باب التشهد ، وفي إسناده مجاهيل .

وذكر مالك في « الموطأ » : أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول : قولوا : التحيات لله ، الزاكيات لله ، الصلوات الطيبات لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »[1] .

فأي تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه .

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود ، وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس ، وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه ، والكل كافٍ يجزىء .

الفصل الخامس عشر في ذكر الصلاة على النبي ﷺ

في « الصحيحين » عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[2] .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ١/٩٠ في الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، وإسناده صحيح ، وصحح الزيلعي إسناده في « نصب الراية » .

(٢) رواه البخاري ١١/١٢٨ – ١٣٨ في الدعوات ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، وفي الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) ، وفي تفسير سورة الأحزاب ، باب (إن الله وملائكته يصلون على النبي) ومسلم رقم ٤٠٦ في الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد .

وفي « الصحيحين » أيضاً : عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا : يا رسول الله ، كيف نصلي عليك؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى أزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، كيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله . ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد . والسلام كما قد علمتم »[2] .

وذكر ابن ماجه في « سننه » عن عبد الله بن مسعود قال : إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا : اللهم اجعل صلاتك ، ورحمتك ، وبركاتك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك ، إمام الخير ، وقائد الخير ، ورسول

(١) رواه البخاري ١١/١٤٦ في الدعوات ، باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ، وفي الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) ومسلم رقم ٤٠٧ في الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد .

(٢) رواه مسلم رقم ٤٠٥ في الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد .

الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً يغبطه به الأولون ، اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[1] .

الفصل السادس عشر في الاستخارة

في « صحيح البخاري » عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – ويسمي حاجته – خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدُره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدُر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني به »[2] .

وفي « مسند الإمام أحمد » ، من حديث سعد بن أبي وقاص ، عن

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ٩٠٦ في إقامة الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ ، وفي سنده المسعودي وقد اختلط .

(٢) رواه البخاري ١١/١٥٥ – ١٥٨ في الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة ، وفي التطوع ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وهو القادر) .

النبي ﷺ أنه قال : « من سعادة ابن آدم استخارة الله ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله »[1] .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : ما ندم من استخار الخالق ، وشاور المخلوقين ، وثبت في أمره . وقد قال سبحانه وتعالى : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) [آل عمران : ١٥٩] .

وقال قتادة : ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم .

الفصل السابع عشر في أذكار الكرب والغم والحزن والهم

في « الصحيحين » : عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ، ورب الأرض ، رب

---

(١) رواه أحمد في « المسند » رقم (١٤٤٤) ، ورواه أيضاً الترمذي رقم ٢١٥٢ في القدر ، باب ما جاء في الرضى بالقضاء ، وفي سنده محمد بن أبي حميد الأنصاري الزرقي ، وهو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد ، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث ، ومع ذلك فقد رواه الحاكم ١/٥١٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .

العرش الكريم »[1] .

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال : « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث »[2] .

وفيه أيضاً : عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ كان إذا أهمه الأمر ، رفع رأسه إلى السماء فقال : « سبحان الله العظيم » ، وإذا اجتهد في الدعاء قال : « يا حي يا قيوم »[3] .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي بكرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت »[4] .

وفي « السنن » أيضاً ، عن أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه البخاري ١١/١٢٣ في الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب ، وفي التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) ، ومسلم رقم ٢٧٣٠ في الذكر ، باب دعاء الكرب .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٥٢٢ في الدعوات ، باب رقم ٩١ وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يرتقي بها ، وانظر الحاكم ١/٥٠٩ ، وشرح الأذكار ٤/٥ و ٦ .

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٤٣٢ في الدعوات ، باب ما يقول عند الكرب ، وإسناده ضعيف ، لكن يشهد له بعض الحديث الذي قبله .

(٤) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٠ في الأدب باب ما يقول إذا أصبح ، وإسناده حسن ، ورواه أيضاً ابن حبان رقم (٢٣٧٠) « موارد » .

« ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب - ؟ الله الله ربي لا أشرك به شيئاً »[1].

وفي رواية أنها تقال سبع مرات.

وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: « دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ) [الأنبياء: ٨٧] لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استجيب له »[2].

وفي رواية: « إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام »[3].

وفي « مسند الإمام أحمد » و « صحيح ابن حبان » عن عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: « ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك،

---

(١) رواه أبو داود رقم ١٥٢٥ في الصلاة، باب الاستغفار، وله شاهد من حديث عائشة عند ابن حبان رقم ٢٣٦٩ « موارد ». فالحديث حسن. وانظر تخريج الحديث في « جامع الأصول » ٢٩٧/٤.

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٠) في الدعوات، باب رقم ٨٥، ورواه الحاكم ٥٠٥/١، وصححه ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ص ١١١، وفي سنده ضعف، ورواه الحاكم بنحوه ٥٠٥/١ وسكت عنه هو والذهبي. وقال الحافظ في تخريج الأذكار: هذا حديث غريب. نقول: ولكن يشهد له معنى الذي قبله.

عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحاً »[1] .

الفصل الثامن عشر

في الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) [نوح : ١١ و ١٢] .

وفي بعض « المسانيد » ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[2] . وذكر أبو عمر بن عبد البر في « التمهيد »

---

(١) رواه أحمد في « المسند » رقم (٤٣١٨) ، وابن حبان رقم (٢٣٧٢) « موارد » ، وهو حديث صحيح ، ورواه أيضاً الحاكم ٥٠٩/١ ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والبزار . وقال الحافظ في تخريج الأذكار : حديث حسن ، وقد صححه بعض الأئمة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » رقم ٢٢٣٤ ، وأبو داود رقم ١٥١٨ في الصلاة ، باب الاستغفار ، وابن ماجه رقم ٣٨١٩ في الأدب ، باب الاستغفار ، وفي سنده الحكم بن مصعب القرشي المخزومي ، وهو مجهول كما قال الحافظ في « التقريب » .

له حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ : « من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً »[1] .

الفصل التاسع عشر

في الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطاناً وغيره

في « سنن أبي داود » و « النسائي » ، عن أبي موسى ، أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم »[2] ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو : « اللهم أنت عضدي وأنت ناصري وبك أقاتل »[3] .

وعنه ﷺ أنه كان في غزوة فقال : « يا مالك يوم الدين ، إياك أعبد ، وإياك أستعين » ، قال أنس : فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة

---

(١) ورواه البيهقي من حديث ابن مسعود ، قال المناوي في « فيض القدير » : وفيه أبو شجاع . قال في « الميزان » : نكرة لايعرف ، ثم أورد له هذا الخبر ، قال : وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابن الدارقطني والبيهقي وغيرهم .

(٢) رواه أبو داود رقم ١٥٣٧ في الصلاة ، باب ما يقول الرجل إذا خاف قوماً ، ولم نجده في النسائي ، ولعله في « الكبرى » ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/٤١٤ و ٤١٥ وإسناده صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم ٢٦٣٢ في الجهاد ، باب ما يدعى عند اللقاء ، والترمذي رقم ٣٥٧٨ في الدعوات ، باب الدعاء إذا غزا ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/١٨٤ وإسناده صحيح ، وحسنه الترمذي .

من بين يديها ومن خلفها [1] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، لا إله إلا أنت ، عزّ جارك ، وجل ثناؤك [ولا إله غيرك] » [2] .

وفي « صحيح البخاري » عن ابن عباس قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) [آل عمران : ١٧٣] [3] .

الفصل العشرون

في الأذكار التي تطرد الشيطان

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسي عند نومه لم يقربه شيطان ، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ، ومن قال في يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله . وقد قال تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) [المؤمنون : ٩٨] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ص ١٠٨ ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ص ١١٢ ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه البخاري ٨/١٧٢ في تفسير سورة آل عمران ، باب قوله تعالى : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) .

وكان النبي ﷺ يقول : « أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه »[1] .

وقال سبحانه وتعالى : (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) [فصلت : ٣٦] .

والأذان يطرد الشيطان كما تقدم .

وعن زيد بن أسلم : أنه ولي معادن ، فذكروا كثرة الجن ، فأمرهم أن يؤذنوا كل وقت ويكثروا من ذلك ، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئاً .

وفي « صحيح مسلم » عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ، إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي ، فقال رسول الله ﷺ : « ذاك شيطان يقال له : خِنْزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً » ففعلت ذلك ، فأذهبه الله عز وجل عني[2] .

وأمر ابن عباس رجلاً وجد في نفسه شيئاً من الوسوسة والشك أن

---

(١) رواه أبو داود رقم ٧٧٥ في الصلاة ، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ، والترمذي رقم ٢٤٢ في الصلاة ، باب مايقول عند افتتاح الصلاة ، من حديث أبي سعيد الخدري ، وإسناده حسن . وقال الترمذي : وفي الباب عن علي ، وعائشة ، وعبدالله بن مسعود ، وجابر ، وجبير بن مطعم ، وابن عمر ، وحديث أبي سعيد أشهر حديث في الباب .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٢٠٣ في السلام ، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة .

يقرأ : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والْبَاطِنُ وَهُوَ بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد : ٣] .

ومن أعظم ما يندفع به شره قراءة المعوذتين ، وأول (الصافات) وآخر (الحشر) .

الفصل الحادي والعشرون

في الذكر الذي تحفظ به النعم ، وما يقال عند تجردها

قال الله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين : ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلَّا باللهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] . فينبغي لمن دخل بستانه ، أو داره ، أو رأى في ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة ، فإنه لا يرى فيه سوءاً .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ومال وولد فقال : (مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله) فيرى فيها آفة دون الموت »[١] . وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » ، وإذا رأى ما يسوؤه قال : « الحمد لله على كل حال »[٢] .

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/١٤٠ ونسبه للطبراني في « الصغير » و« الأوسط » ، وقال : وفيه عبد الملك بن زرارة ، وهو ضعيف .

(٢) رواه بمعناه ابن ماجه رقم ٣٨٠٣ في الأدب ، باب فضل الحامدين ، ورواه الحاكم وصححه ، وهو حديث حسن .

الفصل الثاني والعشرون

في الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة : ١٥٦] .

ويذكر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فإنها من المصائب »(١) . وقالت أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله تعالى في مصيبته ، وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ ، فأخلف الله لي خيراً منه ، رسولَ الله ﷺ(٢) .

وروي أيضاً عنها رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره ، فأغمضه ، ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله ، فقال : « لا تدعوا على أنفسكم

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٣٤٦ ، وفي سنده يحيى ابن عبد الله التيمي لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات ، لكن له شاهد مرسل يرتقي به .

(٢) رواه مسلم رقم ٩١٨ في الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة .

إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون » ثم قال : « اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونوِّر له فيه »[1] .

الفصل الثالث والعشرون

في الذكر الذي يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

في الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه ، أن مكاتَباً جاءه فقال : إني عجزت عن كتابتي فأعنِّي ، فقال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل أحد ديناً إلا أداه الله عنك ، قل : « اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، وأغنني بفضلك عمن سواك » قال الترمذي : حديث حسن[2] .

الفصل الرابع والعشرون

في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما

في « صحيح البخاري » عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول : « إن أباكما إبراهيم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعيذكما

---

(١) رواه مسلم رقم ٩٢٠ في الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٥٥٨ في الدعوات ، باب رقم ١٢١ وقال : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »[1] .

وفي « الصحيحين » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رقى لديغاً بفاتحة الكتاب ، فجعل يتفل عليه ويقرأ : (الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين) ، فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشي وما به قلبة[2] ...الحديث[3] .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء ، أو كانت قرحة به ، أو جرح ، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا – ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها – وقال : « بسم الله ، تربة أرضنا ، بريقة بعضنا ، يشفى به سقيمنا ، بإذن ربنا »[4] .

وفي « الصحيحين » أيضاً عنها رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله ، يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس ،

---

(١) رواه البخاري ٦/٢٩٢ و ٢٩٣ في الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

(٢) القلبة : (بفتح القاف واللام) : العلة والألم .

(٣) رواه البخاري ١٠/١٧٨ في الطب ، باب النفث في الرقية ، وباب الرقى بفاتحة الكتاب ، وفي فضائل القرآن ، باب فاتحة الكتاب ، ومسلم رقم ٢٢٠١ في السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية .

(٤) رواه البخاري ١٠/١٧٦ - ١٧٧ في الطب ، باب رقية النبي ﷺ ، ومسلم رقم ٢١٩٤ في السلام ، باب استحباب الرقية من العين .

أذهب الباس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً »[1] .

وفي « صحيح مسلم » عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه : أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم ، فقال النبي ﷺ : « ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله ـ ثلاثاً ـ وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد[2] وأحاذر »[3] .

وفي « السنن » عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « من عاد مريضاً لم يحضر أجله ، فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يشفيك ويعافيك ، إلا عافاه الله تعالى »[4] .

---

(١) رواه البخاري ١٠/١٧٦ في الطب ، باب ما جاء في رقية النبي ﷺ ، ومسلم رقم ٢١٩١ في السلام ، باب استحباب رقية المريض .

(٢) في النسخ المطبوعة : وما أحاذر .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٢٠٢ في السلام ، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء ، ولفظه عند مسلم في آخره : « أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » وعند ابن ماجه رقم ٣٥٢٢ في الطب : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » ، كما ذكره المصنف ، وعند مالك وأحمد وأبي داود والترمذي بلفظ : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » .

(٤) رواه أبو داود رقم ٣١٠٦ في الجنائز ، باب الدعاء للمريض عند العيادة ، والترمذي رقم ٢٠٨٤ في الطب ، باب رقم ٣٢ ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال . وليس عندهما لفظة : « ويعافيك » .

وفي « سنن » أبي داود والنسائي ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم ، أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء ، فاجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأُ »[1] .

الفصل الخامس والعشرون
في ذكر دخول المقابر

في « صحيح مسلم » عن بريدة قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر ، أن يقول قائلهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية »[2] .

وفي « سنن ابن ماجه » عن عائشة ، أنها فقدت النبي ﷺ ، فإذا هو بالبقيع ، فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط ،

---

(١) رواه أبو داود رقم ٣٨٩٢ في الطب ، باب كيف الرقى ، وفي سنده زيادة ابن محمد الأنصاري ، وهو منكر الحديث .

(٢) رواه مسلم رقم ٩٧٥ في الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها .

وإنا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم »[1] .

الفصل السادس والعشرون
في ذكر الاستسقاء

قال تعالى : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً) [نوح : ١٠ و ١١] .

عن جابر بن عبد الله قال : أتت النبي ﷺ بواك فقال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئاً مريعاً ، نافعاً غير ضار ، عاجلاً غير آجل » فأطبقت عليهم السماء[2] .

وعن عائشة : شكا الناس الى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه ، فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس ، فقعد على المنبر ، فكبر وحمد الله عز وجل ، ثم قال : « إنكم شكوتم جدب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله سبحانه وتعالى أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم » . ثم قال :(الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين، الرَّحْمٰن

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ١٥٤٦ في الجنائز ، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/ ٧١ ، وابن السني رقم ٥٨٤ ، وهو حديث حسن ، وقد حسنه الحافظ في « تخريج الاذكار » ٢٢١/٤ .

(٢) رواه أبو داود رقم ١١٦٩ في الصلاة ، باب رفع اليدين في الاستسقاء ، وإسناده صحيح .

الرَّحِيم ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، لا إله إلا الله ، يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله الا أنت الغني ، ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغاً الى حين » ، ثم رفع يديه ، فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حول الى الناس ظهره ، وقلب - أو حوَّل - رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على النـاس ، فنزل ، فصلى ركعتين ، فأنشأ الله عز وجل سحابة ، فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت بإذن الله تعالى ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكِنِّ[1] ، ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال : « أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأنِّي عبد الله ورسوله »[2] .

وفي « سنن أبي داود » عن عبد الله بن عمرو : كان رسول الله ﷺ إذا استسقى قال : « اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحي بلدك الميت »[3] .

وقال الشعبي : خرج عمر يستسقي ، فلم يزد على الاستغفار . فقالوا : ما رأيناك استسقيت ، فقـال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي

---

(١) في النسخ المطبوعة : إلى السكن .

(٢) رواه أبو داود رقم ١١٧٣ في الصلاة ، باب رفع اليدين في الاستسقاء ، وإسناده حسن ، وقال أبو داود : وإسناده جيد .

(٣) رواه أبو داود رقم ١١٧٦ في الصـلاة ، باب رفع اليدين في الاستسقاء ، وإسناده حسن ، ورواه مالك في « الموطأ » ١/ ١٩٠ و ١٩١ مرسلاً ، وقد وصله أبو داود كما علمت .

يستنزلون بها المطر[1] . ثم قرأ : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً) [نوح : ١٠ و ١١] ، (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى)...الآية[هود:٣].

الفصل السابع والعشرون

في أذكار الريح إذا هاجت

قال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الريح من روح الله تعالى ، تأتي بالرحمة ، وتأتي بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها ، واسألوا الله من خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها » رواه أبو داود[2] .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال : « اللهم إني أسألك خيرها ، وخير ما فيها ، وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به »[3] .

وفي « سنن أبي داود » عن عائشة أيضاً رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل وإن كان في

---

(١) المجاديح : واحدها مجدح ، وهو نجم قيل : هو الدبران ، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر .

(٢) رقم ٥٠٩٧ في الأدب ، باب ما يقول إذا هاجت الريح ، وإسناده حسن ، وقال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) رواه مسلم رقم ٨٩٩ في الاستسقاء ، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم .

صلاة ، ثم يقول : « اللهم إني أعوذ بك من شرها » فإن مطر [1] قال : « اللهم صيباً هنيئاً » [2] .

الفصل الثامن والعشرون

في الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث، فقال : سبحان الذي ﴿ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [الرعد : ١٤] [3] .

وعن كعب أنه قال : من قال ذلك ثلاثاً ، عوفي من ذلك الرعد [4] .

---

(١) في النسخ المطبوعة : فإن أمطرت .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٩ في الأدب ، باب ما يقول إذا هاجت الريح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٩٠/٦ ، وابن ماجه رقم ٣١٨٩ في الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » ٩٩٢/٢ في الكلام ، باب القول إذا سمعت الرعد من طريقه عن عامر بن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ... وذكره . نقول : وهو تحريف فقد رواه البخاري في « الأدب المفرد » ١٨٦/٢ قال : حدثني مالك بن أنس عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن الزبير... فذكره ، وهذا إسناد صحيح ، وصححه النووي في « الأذكار » ، والحافظ في تخريج الأذكار من قول عبد الله بن الزبير .

(٤) قال الحافظ في تخريج الأذكار كما نقل عنه ابن علان في « الفتوحات الربانية » : وهو عندنا بالاسناد إلى الطبراني بإسناده إلى ابن عباس قال : كنا =

وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك »[1] .

الفصل التاسع والعشرون
في الذكر عند نزول الغيث

في « الصحيحين » عن زيد بن خالد الجهني قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، وكافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذاك كافر بي ، مؤمن

= مع عمر بن الخطاب في سفر ، فأصابنا رعد وبرق ومطر ، فقال لنا كعب : من قال حين يسمع الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده ... الخ ثم لقيت عمر في بعض الطريق ، فإذا بردة أصابت أنفه ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : بردة أصابت أنفي فأثرت في ، فقلت : إن كنا قال ... فذكره ، فقلنا : وعوفينا ، فقال عمر : فهلا أعلمتمونا حتى نقول ؟ . قال الحافظ : هذا موقوف حسن الاسناد .

(١) رواه الترمذي رقم ٣٤٤٦ في الدعوات ، باب ما يقال إذا سمع الرعد ، وفي سنده ضعف ، وضعفه النووي في « الأذكار » ، وتعقبه الحافظ في تخريج الأذكار فقال : رواه أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » ، والترمذي والنسائي والحاكم من طرق متعددة .

بالكواكب »[1] .

وقد قيل : « إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب » .

وفي « صحيح البخاري » عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان إذا رأى المطر قال : « صيباً نافعاً »[2] .

وفي « صحيح مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر ، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر ، فقلنا : يارسول الله ، لم صنعت هذا ؟ قال : لأنه حديث عهد بربه »[3] .

الفصل الثلاثون

في الذكر والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها

في « الصحيحين » عن أنس قال : دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » قال أنس : والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٧٧ في صفة الصلاة ، باب يستقبل الامام الناس إذا سلم ، ومسلم رقم ٧١ في الايمان ، باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء .

(٢) رواه البخاري ٢/٤٣٠ في الاستسقاء ، باب ما يقال إذا مطرت .

(٣) رواه مسلم رقم ٨٩٨ في الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء .

بيت [1] ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يمسكها عنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب [2] ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » قال : فأقلعت ، وخرجنا نمشي في الشمس » [3] .

الفصل الحادي والثلاثون

في الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : « الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله » [4] .

وفي « سنن أبي داود » عن قتادة ، أنه بلغه : أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : « هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ،

---

(١) في النسخ المطبوعة : من بنيان .

(٢) الظراب : واحدها : ظرب ، وهي الروابي الصغار .

(٣) رواه البخاري ٢ / ٤٣٢ في الاستسقاء ، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ، ومسلم رقم ٧٩٨ في الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء .

(٤) رواه الدارمي في « سننه » ٢/٣ و ٤ وهو حديث حسن .

[هلال خير ورشد] ، آمنت بالله الذي خلقك » ثلاث مرات . ثم يقول : « الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا ، وجاء بشهر كذا »[1] .

الفصل الثاني والثلاثون

في الذكر للصائم وعند فطره

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم » رواه الترمذي وقال : حديث حسن[2] .

وروى ابن ماجه ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو[3] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » وقال ابن أبي مليكة : سمعت عبد الله بن عمرو[3] رضي الله تعالى عنهما

---

(١) رواه أبو داود رقم ٥٠٩٢ في الأدب ، باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال وهو مرسل . قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : ووجدت له شاهداً مرسلاً أيضاً ، أخرجه مسدد في « مسنده » الكبير ورجاله ثقات ، قال : ووجدت له شاهداً موصولاً من حديث أنس . نقول : وهو حديث حسن .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٥٩١ في الدعوات ، باب رقم ١٣٩ ورقم ٢٥٢٨ في صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم ١٧٥٢ في الصيام ، باب الصائم لا ترد دعوته ، وهو حديث حسن ، وقد حسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

(٣) في النسخ المطبوعة : عبد الله بن عمر .

إذا أفطر يقول : اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي [(١)] .

ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت » [(٢)] .

ومن وجه آخر : « اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبَّل منا ، إنك أنت السميع العليم » [(٣)] .

الفصل الثالث والثلاثون

في أذكار السفر

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً » [(٤)] .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ١٧٥٣ في الصيام ، باب في الصائم لا ترد دعوته ، وفي سنده إسحاق بن عبيد الله المدني لم يوثقه غير ابن حبان ، ورواه الطبراني في الدعاء من طريق أخرى . قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هذا حديث حسن أخرجه أبو يعلى في « مسنده » ، وأخرجه الحاكم من وجه آخر .

(٢) رواه أبو داود رقم ٢٣٥٨ في الصيام ، باب القول عند الإفطار مرسلاً ، لكن له شواهد يقوى بها منها الذي بعده .

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٤٧٤ من حديث ابن عباس ، وفي سنده ضعف لكن يشهد له الذي قبله فهو حسن .

(٤) حسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » وذكر له شواهد . « انظر شرح الأذكار » ١٠٦/٥ .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من أراد سفراً فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه »[1] .

وفي « المسند » أيضاً ، عن [ابن] عمر[2] عن النبي ﷺ ، قال : « إن الله اذا استودع شيئاً حفظه »[3] .

وقال سالم : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفراً : أدن مني، أودعك ، كما كان رسول الله ﷺ يودِّعنا ، فيقول : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »[4] .

ومن وجه آخر : كان النبي ﷺ إذا ودَّع رجلاً أخذ بيده ، فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع [يد] النبي ﷺ ... وذكر تمام الحديث[5] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٠٣/٢ ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم ٢٨٢٥ في الجهاد ، باب تشييع الغزاة ووداعهم ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٤٩٩ ، وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

(٢) في النسخ المطبوعة : عن عمر

(٣) رواه أحمد في « المسند » رقم ٥٦٠٥ و ٥٦٠٦ وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبان من طريق آخر رقم ٣٣٧٦ موارد ، وإسناده صحيح أيضاً ، وصححه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

(٤) رواه الترمذي رقم ٣٤٣٩ في الدعوات ، باب رقم ٤٥ وإسناده حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٥) رواه الترمذي رقم ٣٤٣٨ في الدعوات ، باب رقم ٤٥ وفي سنده إبراهيم =

قال الترمذي : حديث حسن صحيح[1] .

وقال أنس رضي الله عنه : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، [إني] أريد سفراً فزودني . فقال : « زودك الله التقوى » ، قال : زدني ، قال : « وغفر ذنبك » ، قال : زدني ، قال : « ويسر لك الخير حيثما كنت » قال الترمذي : حديث حسن[2] .

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إني أريد أن أسافر فأوصني ، قال : « عليك بتقوى الله عز وجل ، والتكبير على كل شرف »[3] فلما ولى الرجل قال : « اللهم اطو له البُعْدَ ، وهون عليه السفر » قال الترمذي : حديث حسن[4] .

= ابن عبد الرحمن بن يزيد بن أمية وهو مجهول ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب نقول : لكن للحديث شواهد يرقى بها ، فهو بها حسن ، وقد ذكر الحافظ شواهد للحديث في « تخريج الأذكار » فانظرها في « شرح الأذكار » ٥/١١٨ .

(١) يريد بذلك الرواية الأولى ، أما الثانية فقال فيها : حديث غريب ، وقد تقدم .

(٢) وهو كما قال ، وحسنه الحافظ ، وقد رواه الترمذي رقم ٣٤٤٠ في الدعوات ، باب رقم ٤٦ .

(٣) الشرف : المكان المرتفع .

(٤) وهو كما قال ، رواه الترمذي رقم ٣٤٤١ في الدعوات ، باب رقم ٤٧ ، ورواه الحاكم ٢/ ٩٨ ، وصححه ووافقه الذهبي ، كما رواه ابن حبان رقم ٢٣٧٨ و ٢٣٧٩« موارد » .

الفصل الرابع والثلاثون

في ركوب الدابة والذكر عنده

قال علي بن ربيعة : شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ، ثم قال : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [الزخرف : ٣٣] ثم قال : الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك . فقيل : يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت ؟ فقال : رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ، ثم ضحك ، فقلت : يا رسول الله ، من أي شيء ضحكت ؟ فقال : « إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي ، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري » رواه أهل السنن ، وصححه الترمذي[1] .

---

(١) رواه أبو داود رقم ٢٦٠٢ في الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا ركب والترمذي رقم ٣٤٤٣ في الدعوات ، باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة ، وقال: حسن صحيح ، والحاكم ٢/ ٩٩ وصححه ، ورواه ابن حبان رقم ٢٣٨٠ و ٢٣٨١ ، وأحمد في « المسند » رقم ٧٥٣ و ٩٣٠ ، وعبد الرزاق في « مصنفه » رقم ١٩٤٨٠ من طريق أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة عن علي بن أبي طالب ، وقد رواه أبو إسحاق بالعنعنة ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » كما نقل عنه ابن علان : إن أبا إسحاق دلس بحذفه رجلين أو أكثر . نقول : وقد رواه الحاكم =

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر ، كبر ثلاثاً ثم قال : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون) ، اللهم [إنا] نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا ،واطو عنا بعده ، [اللهم]أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل » ، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن « آيبون ، تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون »[1] .

وفي وجه آخر : كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إذا علو الثنايا كبروا ، وإذا هبطوا سبحوا »[2] .

= من طريق أخرى ٢/٩٨ عن المنهال بن عمرو عن علي بن ربيعة ، وصححه ووافقه الذهبي ، ولذا قال الترمذي : حديث حسن صحيح وهو كما قال ، وانظر بقية كلام الحافظ في « شرح الأذكار » لابن علان ٥/١٢٥ .

(١) رواه مسلم رقم ١٣٤٢ في الحج ، باب مايقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره .

(٢) ظاهر كلام المصنف أن هذه الزيادة هي بسند الحديث الذي قبله ، وقد رواها أبو داود رقم ٢٥٩٩ في الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا سافر مدرجة على حديث ابن عمر الذي قبله ، وقد روى هذه الزيادة عبد الرزاق في « مصنفه » رقم ٩٢٤٩ منفردة من طريقه عن ابن جريج قال : « كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علو الثنايا كبروا ، وإذا هبطوا سبحوا ، وضعت الصلاة على ذلك » وإسناده معضل ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » كما نقل عنه ابن علان ، بعد أن ذكر الحديث : هكذا أخرجه معضلاً ولم يذكر فيه لابن جريج سنداً فظهر أن من عطفه على الأول أو مزجه أدرجه ، وهذا من أدق ما وجد في المدرج .

الفصل الخامس والثلاثون

في ذكر الرجوع من السفر

قال عبد الله بن عمر : كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو ، أو حج ، أو اعتمر ، يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ، ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . رواه البخاري ومسلم[1] .

الفصل السادس والثلاثون

في الذكر على الدابة إذا استصعبت

قال يونس بن عبيد : ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [آل عمران : ٨٣] إلا وقفت بإذن الله تعالى[2] . قال شيخنا قدس الله روحه : وقد فعلنا ذلك فكان كذلك .

(١) رواه البخاري ١١/١٦٠ و ١٦١ في الدعوات ، باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع ، ومسلم رقم ١٣٤٤ في الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره .

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم ٥٠٤ من حديث المنهال بن عيسى عن يونس بن عبيد ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هو خبر مقطوع ، =

الفصل السابع والثلاثون

في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة ، فلينادِ : يا عباد الله احبسوا ، فإن لله عز وجل حاضراً سيحبسه »(١) .

الفصل الثامن والثلاثون

في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ لم ير قرية يريد دخولها

= وراويه عنه المنهال بن عيسى ، قال أبو حاتم : مجهول ، وقد وجدته عن أعلى من يونس ، أخرجه الثعلبي في « التفسير » بسنده من طريق الحكم عن مجاهد عن ابن عباس .

(١) رواه ابن السني « في عمل اليوم والليلة » رقم ٥٠٢ وإسناده ضعيف ، قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : حديث غريب أخرجه ابن السني ، وأخرجه الطبراني ، وفي السند انقطاع ، وقد جاء بمعناه حديث آخر أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ قال : « إذا ضل أحدكم أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها إنس فليقل : يا عباد الله أعينوني ، ثلاثاً ، فإن لله عباداً لا يراهم » ، ثم قال : ولحديث عتبة شاهد من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر ، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله أعينوني » قال الحافظ : هذا حديث حسن الاسناد غريب جداً أخرجه البزار وقال : لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد .

إلا قال حين يراها : « اللهم رب السموات السبع وما أظللهن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذَرَين ، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها » رواه النسائي[1] .

الفصل التاسع والثلاثون

في ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » . رواه مسلم[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال : « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك ، وأعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما

---

(١) رواه النسائي في « السنن » ٧٣/٣ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء عند الانصراف من الصلاة بلفظ آخر ، ولعل اللفظ الذي ساقه المصنف هو في الكبرى ، ورواه أيضاً ابن السني رقم ٥١٨ وابن حبان رقم ٢٣٧٧« موارد » والحاكم ١٠٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

(٢) رقم ٢٧٠٨ في الذكر ، باب في التعوذ من سوء القضاء .

ولد » . رواه أبو داود[1] .

الفصل الأربعون

في ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ واشْكُرُوا للهِ إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُون ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه : قال لي رسول الله ﷺ : « يا بني ، سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » متفق عليه[2] .

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح[3] .

---

(١) رقم ٢٦٠٣ في الجهاد ، باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » رقم ٦١٦١ وفي سنده الزبير بن الوليد لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٢ / ١٠٠ ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

(٢) رواه البخاري ٩ / ٤٥٨ في الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وباب الأكل مما يليه ، ومسلم رقم ٢٠٢٢ في الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها .

(٣) رواه الترمذي رقم ١٨٥٩ في الأطعمة ، باب ما جاء في التسمية على الطعام ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٣٧٦٧ في الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، وهو حديث صحيح .

وقال أمية بن مخشي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل ، فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ، فضحك النبي ﷺ ثم قال : « مازال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما في بطنه » رواه أبو داود[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » . رواه مسلم في « صحيحه » من حديث أنس رضي الله عنه[2] .

وقال أبو هريرة : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه . متفق عليه[3] .

وعن وحشي : أن أناساً قالوا : يا رسول الله ، إنا نأكل ولا نشبع ، قال : « فلعلكم تفترقون » ؟ قالوا : نعم . قال : « فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه » رواه أبو داود[4] .

---

(١) رقم ٣٧٦٨ في الأطعمة ، باب التسمية على الطعام ، وإسناده ضعيف .

(٢) رقم ٢٧٣٤ في الذكر ، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب .

(٣) رواه البخاري ٤٧٧/٩ في الأطعمة ، باب ما عاب النبي ﷺ طعاماً ، ومسلم رقم ٢٠٦٤ في الأشربة ، باب لا يعيب الطعام .

(٤) رقم ٣٧٦٤ في الأطعمة ، باب في الاجتماع على الطعام ، ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥٠١/٣ ، وابن ماجه رقم ٣٢٨٦ ، وإسناده ضعيف ، وفي الموضوع أحاديث أخرى ، مانظرها في « مجمع الزوائد » ٢٠/٥ و ٢١

وعن معاذ [بن أنس] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أكل أو شرب[1] فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » ، قال الترمذي : حديث حسن[2] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان اذا فرغ من طعامه قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » رواه أبو داود والترمذي[3] .

وذكر النسائي عن رجل خدم النبي ﷺ أنه كان يسمع النبي ﷺ اذا قرب اليه طعامه يقول : « بسم الله » واذا فرغ من طعامه قال : « اللهم أطعمت وسقيت ، وأغنيت وأقنيت ، وهديت وأحييت[4] ،

---

(١) كذا في النسخ المطبوعة ، والذي عند الترمذي وأبي داود وابن ماجه : « من أكل طعاماً » .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٤٥٤ في الدعوات ، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام ، وأبو داود رقم ٤٠٢٣ في اللباس باب رقم ١ ، وابن ماجه رقم ٣٢٨٥ في الأطعمة ، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام ، وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

(٣) رواه أبو داود رقم ٣٨٥٠ في الأطعمة ، باب ما يقول الرجل إذا طعم والترمذي رقم ٣٤٥٣ في الدعوات ، باب يقول إذا فرغ من الطعام ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣/٣٢ وفي سنده إسماعيل بن رياح السلمي وهو مجهول ، ومع ذلك فقد قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : هذا حديث حسن . وذكره أيضاً في « الفتح » وسكت عنه . نقول : والحديث إلى قوله : « وسقانا » حديث حسن وله شواهد كثيرة .

(٤) في النسخ المطبوعة لهذا الكتاب : « واجتبيت » والتصحيح من « الأذكار » للنووي وابن السني في « عمل اليوم والليلة » و « فتح الباري » لابن حجر .

فلك الحمد على ما أعطيت »[1] .

وفي « صحيح البخاري » عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال : « الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه ، غير مكفيٍّ ولا مودَّع ولا مستغنىً عنه ربنا »[2] .

الفصل الحادي والاربعون

في ذكر الضيف اذا نزل بقوم

عن عبد الله بن بسر قال : نزل رسول الله ﷺ على أبي ، فقربنا إليه طعاماً ووطبة[3] ، فأكل منها ، ثم أتي بتمر ، فكان يأكله ويلقي النوى بين إصبعيه ، ويجمع السبابة والوسطى » قال شعبة : هو ظني ، وهو فيه إن شاء الله إلقاء النوى [بين الإصبعين][4] . ثم أتي بشراب فشربه ، ثم ناوله الذي عن يمينه ، قال : فقال أبي – وأخذ بلجام دابته – : ادع الله

---

(١) رواه النسائي في « الكبرى » كما قال الحافظ في « تخريج الأذكار » ورواه أيضاً ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٤٥٩ وإسناده صحيح ، وصحح إسناده الحافظ في « الفتح » وقال في « تخريج الأذكار » هذا حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري ٩ / ٥٠١ و ٥٠٢ في الأطعمه ، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه .

(٣) الوطبة : الحيس يجمع التمر البرني والأقط المدقوق والسمن .

(٤) معناه : أن شعبة راوي الحديث قال : الذي أظنه أن إلقاء النوى مذكور في الحديث ، وقد جزم بهذا في الرواية الأخرى ، فكأنه تذكر ما كان متردداً فيه .

لنا ، فقال : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم وارحمهم » رواه مسلم[1] .

وعن أنس : أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت فأكل ، ثم قال النبي ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود[2] .

وعن جابر قال : صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبي ﷺ طعاماً ، فدعا النبيَّ ﷺ وأصحابه ، فلما فرغوا قال : « أثيبوا أخاكم » قالوا : يا رسول الله ، وما إثابته ؟ قال : « إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرابه ، فادعوا له ، فذلك إثابته » رواه أبو داود[3] .

الفصل الثاني والاربعون

في السلام

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ :

---

(١) رقم ٢٠٤٢ في الأشربة ، باب استحباب وضع النوى خارج التمر ، واستحباب دعاء الضيف لأهل الطعام .

(٢) رقم ٣٨٥٤ في الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٣٨/٣ ، والبيهقي في « السنن » ٢٨٧/٧ ، وابن السني والطبراني في الدعاء ، وإسناده حسن .

(٣) رقم ٣٨٥٣ في الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام ، وفي سنده جهالة وضعف ، لكن للحديث شواهد ذكرها الحافظ في « تخريج الأذكار » فارجع إليها ٢٤٨/٥ .

أي الإسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » متفق عليه [1] .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » رواه أبو داود [2] .

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما : ثلاث من جمعهن جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار . ذكره البخاري [3] .

---

(١) رواه البخاري ١/٥٢ و ٥٣ في الإيمان ، باب إطعام الطعام من الايمان ، ومسلم رقم ٣٩ في الإيمان ، باب تبيان تفاضل الاسلام وأي أموره أفضل .

(٢) رقم ٥١٩٣ في الأدب ، باب في إفشاء السلام ، وقد أبعد المصنف النجعة ، فالحديث عند مسلم أيضاً رقم ٥٤ في الايمان ، باب بيان أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون وأوله : « لاتدخلون » وهو صواب .

(٣) رواه البخاري معلقاً موقوفاً ١/٧٧ في الإيمان ، باب السلام من الاسلام ، قال الحافظ في « الفتح » : وهذا الأثر : أخرجه أحمد في كتاب الايمان من طريق سفيان الثوري ، ورواه يعقوب بن شيبة في « مسنده » من طريق شعبة وزهير ابن معاوية وغيرهما ، كلهم عن أبي إسحاق السبيعي ، عن صلة بن زفر ، عن عمار ، وهكذا رويناه في « جامع معمر » عن أبي إسحاق ، وكذا حدث به عبد الرزاق في « مصنفه » عن معمر ، قال الحافظ : وقد رفعه بعضهم من طريق عبد الرزاق وهو معلول ، لأن عبد الرزاق تغير بأخرة وسماع هؤلاء منه في حال تغيره . نقول : والحديث رواه عبد الرزاق في « مصنفه » رقم ١٩٤٣٩ موقوفاً ، وإسناده صحيح ، وقال الحافظ في « الفتح » : ومثله لايقال بالرأي ، فهو في حكم المرفوع .

وقال عمران بن حصين : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس ، فقال النبي ﷺ : « عشر » ، ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ، فجلس ، فقال : « عشرون » ، ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه ، فجلس ، فقال : « ثلاثون » . قال الترمذي : حديث حسن [1] .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أولى الناس بالله من بدأ بالسلام » قال الترمذي : حديث حسن [2] .

وخرج أبو داود ، عن علي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يُجزىء عن الجماعة إذا مرُّوا أن يسلم أحدُهم [ويجزىء عن الجلوس أن يردَّ أحدهم] » [3] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٢٦٩٠ في الاستئذان ، باب ما ذكر في فضل السلام ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٥١٩٥ في الأدب ، باب كيف السلام ، وهو حديث حسن كما قال الترمذي ، وقال الترمذي : وفي الباب عن علي ، وأبي سعيد ، وسهل بن حنيف .

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٦٩٥ في الاستئذان ، باب ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٥١٩٧ في الأدب ، باب في فضل من بدأ السلام واللفظ له ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه أبو داود رقم ٥٢١٠ في الأدب ، باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة ، وهو حديث حسن بشواهده ، وقد حسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » .

وقال أنس : مر النبي ﷺ على صبيان يلعبون ، فسلم عليهم » .

حديث صحيح[1] .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم ، فليسلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة »[2] .

الفصل الثالث والاربعون

في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ : « إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمِد الله ، كان [حقاً] على كل من سمعه[3] أن يقول : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم ، فليردَّه ما استطاع ، فإنَّ أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه » رواه البخاري[4] .

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ،

---

(١) رواه البخاري ١١/٢٧ في الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان ، ومسلم رقم ٢١٦٨ في السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥٢٠٨ في الأدب ، باب في السلام إذا قام من المجلس ، والترمذي رقم ٢٧٠٧ في الاستئذان ، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند النوم ، وإسناده حسن . وقال الترمذي : حديث حسن .

(٣) لفظه في نسخ البخاري المطبوعة : « كان حقاً على كل مسلم سمعه » .

(٤) رواه البخاري ١٠/٥٠٥ في الادب ، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه .

وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » رواه البخاري ، وفي لفظ أبي داود : « الحمد لله على كل حال »[1] .

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه ، فإن لم يحمد الله ، فلا تُشَمِّتُوه »[2] .

الفصل الرابع والاربعون

في ذكر النكاح والتهنئة به ، وذكر الدخول بالزوجة

قال ابن مسعود : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : « الحمد لله [نحمده ، و] نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، [ومن سيئات أعمالنا] من يهد[ه] الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ـ وفي رواية زيادة : أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئاً ـ (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ

---

(١) رواه البخاري ٥٠٢/١٠ في الأدب ، باب إذا عطس كيف يشمت وأبو داود رقم ٥٠٣٣ في الادب ، باب ما جاء في تشميت العاطس .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٩٩٢ في « الزهد » ، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب .

حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمُون) [آل عمران : ١٠٢] . ([يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً] وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً) [النساء : ١] . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيماً) [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١]. رواه أهل السنن الأربعة ، وقال الترمذي : حديث حسن[(١)] .

وعن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ كان إذا رفَّأَ الإنسانَ إذا تزوج قال : « بارك الله لك ، وبارك عليك[(٢)] ، وجمع بينكما في خير » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[(٣)] .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « إذا تزوج أحدكم امرأة ، أو اشترى خادماً فليقل : اللهم إني أسألك خيرها ،

---

(١) رواه أبو داود رقم ٢١١٨ في « النكاح » ، باب في خطبة النكاح ، والترمذي رقم ١١٠٥ في النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، والنسائي ٣/١٠٥ في الجمعة ، باب كيف الخطبة ، وابن ماجه رقم ١٨٩٢ في النكاح ، باب خطبة النكاح ، وهو حديث صحيح ، ما عدا الزيادة في الرواية الثانية .

(٢) في النسخ المطبوعة : « وبارك عليكما » ، والتصحيح من سنن الترمذي .

(٣) رواه الترمذي رقم ١٠٩١ في النكاح ، باب ما جاء فيما يقال للمتزوج ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٢١٣٠ في النكاح ، باب ما يقال للمتزوج ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، ورواه أيضاً الحاكم ٢/١٨٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

وخير ما جبلتَها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتَها عليه ، وإذا اشترى بعيراً ، فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك » رواه أبو داود[1].

وفي « الصحيحين » عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « [لو] أنَّ أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضي بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبداً »[2].

الفصل الخامس والاربعون

في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد

يذكر أن فاطمة رضي الله تعالى عنها لما دنا ولادها ، أمر النبي ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عليها آية الكرسي ، و (إنَّ رَبَّكُم اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ) ... إلى آخر الآيتين [الأعراف : ٥٤ _ ٥٥] ، وتعوِّذاها بالمعوذتين[3].

وقال أبو رافع : « رأيت رسول الله ﷺ أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح[4].

---

(١) رقم ٢١٦٠ في النكاح ، باب جامع النكاح ، ورواه أيضاً ابن ماجه رقم ١٩١٨ في النكاح ، باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله ، وإسناده حسن .

(٢) تقدم تخريجه ص ١١٦ .

(٣) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٦١٤ وإسناده ضعيف جداً .

(٤) رواه الترمذي رقم ١٥١٤ في الأضاحي ، باب رقم ١٧ ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٥١٠٥ في الأدب ، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه ، وأحمد في « المسند » ٩/٦ و ٣٩١ و ٣٩٢ ، وهو حديث حسن بشاهده عند البيهقي في « الشعب » من حديث ابن عباس .

ويذكر عن الحسين بن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « من ولد له مولود ، فأذَّن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى ، لم تضره أمُّ الصِّبيان »[1] .

وقالت عائشة : كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان ، فيدعو لهم بالبركة ويحنِّكهم » رواه أبو داود[2] .

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : إن النبي ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه ، ووضع الأذى عنه ، والعقِّ » . قال الترمذي : حديث حسن[3] .

وقد سمى النبي ﷺ ابنه إبراهيم ، وإبراهيم بن أبي موسى ، وعبد الله ابن أبي طلحة ، والمنذر بن أسيد قريباً من ولادتهم .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم [وأسماء آبائكم] ، فأحسنوا أسماءكم » ذكره أبو داود[4] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٦١٧ ، وإسناده ضعيف جداً .

(٢) رقم ٥١٠٦ في الأدب ، باب الصبي يولد فيؤذن في أذنه ، ورواه أيضاً مسلم رقم ١٨٦ في الطهارة ، باب حكم بول الطفل الرضيع .

(٣) رواه الترمذي رقم ٢٨٣٤ في الأدب ، باب ما جاء في تعجيل اسم المولود وهو حديث حسن بشواهده .

(٤) رقم ٤٩٤٨ في الأدب ، باب في تغيير الأسماء ، من حديث عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء ، ورجاله ثقات ، إلا أن عبد الله بن أبي زكريا لم يسمع من أبي الدرداء .

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل : عبد الله ، وعبد الرحمن »[١] .

وعن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تسمَّوْا بأسماء الأنبياء ، وإن أحب الأسماء إلى الله عز وجل : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وأصدقها : حارث وهمام ، وأقبحها : حرب ومرة » رواه أبو داود والنسائي[٢] .

وغير النبي الأسماءَ المكروهة إلى أسماء حسنة ، فغير اسم برَّة إلى زينب ، وغير اسم حزن إلى سهل ، وغير اسم عاصية فسماها جميلة ، وغير اسم أصرم إلى زرعة[٣] .

وسمى حرباً سلماً ، وسمى المضطجع المنبعث ، وسمى أرضاً يقال لها : عفرة ، خضرة ، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى ، وبنو الزِّنية سماهم بني الرشدة[٤] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٢١٣٢ في الأدب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء .

(٢) رواه أبو داود رقم ٤٩٥٠ في الأدب ، باب في تغيير الأسماء ، ولم نجده عند النسائي ، ولعله في « الكبرى » ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/٣٤٥ ، وإسناده ضعيف ، لكن لبعض فقراته شواهد .

(٣) هذه ثبتت في الأحاديث الصحيحة .

(٤) ذكره أبو داود في الأدب ، باب في تغيير الاسم القبيح بدون إسناد ، وقال أبو داود : تركت أسانيدها للاختصار .

الفصل السادس والاربعون

في صياح الديكة والنهيق والنباح

في « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا سمعتم نهيق الحمير ، فتعوّذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً ، وإذا سمعتم صياح الديكة ، فسلوا الله من فضله ، فإنها رأت مَلَكاً »[1] .

وفي « سنن أبي داود » عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل ، فتعوذوا بالله منهن ، فإنهن يَرين ما لا ترون » . رواه أبو داود[2] .

الفصل السابع والاربعون

في الذكر يطفأ به الحريق

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الحريق فكبروا ، فان التكبير

---

(١) رواه البخاري ٦/٢٥١ في بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم ، ومسلم رقم ٢٧٢٩ في الذكر والدعاء ، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك .

(٢) رواه أبو داود رقم ٥١٠٣ في الأدب ، باب ما جاء في الديك والبهائم ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣ / ٣٠٦ و ٣٥٥ ، والبخاري في « الأدب المفرد » رقم ١٢٣٣ و ١٢٣٤ ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٣٠٧ ، وهو حديث صحيح بطرقه .

يطفئه »[1] .

الفصل الثامن والاربعون

في كفارة المجلس

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من جلس مجلساً ، فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح[2] .

وفي حديث آخر : « أنه إن كان في مجلس خير كان كالطابع له ، وإن كان في مجلس تخليط كان كفارة له »[3] .

وفي « السنن » عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان لهم حسرة »[4] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ ، وفي سنده القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري ، وهو متروك ، ورماه أحمد بالكذب .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٤٢٩ في الدعوات ، باب ما يقول إذا قام من مجلسه ، وإسناده حسن ، ورواه أيضاً الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) رواه الحاكم ٥٣٧/١ من حديث جبير بن مطعم ، وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ونسبه للطبراني وقال : ورجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه أبو داود رقم ٤٨٥٥ في الأدب ، باب كراهية أن يقوم الرجل =

وعن ابن عمر قال : قلّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب[1] الدنيا ، اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » . قال الترمذي : حديث حسن[2] .

الفصل التاسع والاربعون

فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى : (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [فصلت : ٣٦] .

وقال سليمان بن صرد : كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبّان ، أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ : « إني

= من مجلسه ولا يذكر الله ، والترمذي رقم ٣٣٧٧ في الدعوات ، باب القوم يجلسون ولا يذكرون الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢ / ٣٨٩ و ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٧ ، وإسناده صحيح .

(١) في النسخ المطبوعة من الوابل : مضار ، والتصحيح من ابن السني والحاكم ، وعند الترمذي : مصيبات .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٤٩٧ في الدعوات ، باب رقم ٨٣ ، ورواه أيضاً ابن السني رقم ٤٤٠ ، والحاكم ١/٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه [الذي يجد] » متفق عليه [1] .

وعن عطية بن عروة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أبو داود [2] .

وفي حديث آخر أنه أمر من غضب إن كان قائماً أن يجلس ، وإن كان جالساً أن يضطجع » [3] .

الفصل الخمسون

فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من رأى مبتلىً فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضّلني على كثير من

---

(١) رواه البخاري ٣٨٩/١٠ في الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن ، ومسلم رقم ٢٦١٠ في البر ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

(٢) رقم ٤٧٨٤ في الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، وفي سنده عروة بن محمد السعدي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وقال فيه : كان يخطيء ، وهو عامل عمر ابن عبد العزيز على اليمن ، وروى عنه غير واحد .

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٧٨٢ في الأدب ، باب ما يقال عند الغضب ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١٥٢/٥ ، وإسناده حسن .

خلق تفضيلاً ، لم يصبه ذلك البلاء » . قال الترمذي : حديث حسن[1] .

الفصل الحادي والخمسون

في الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » رواه الترمذي[2] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال : « بسم الله ، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب بها يميناً فاجرة ، أو صفقة خاسرة »[3] .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٤٢٨ في الدعوات ، باب رقم ٣٨ ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٢) رقم ٣٤٢٤ في الدعوات ، باب ما يقول إذا دخل السوق ، ورواه الحاكم ١/٥٣٨ و ٥٣٩ ، وهو حديث حسن بطرقه .

(٣) رواه ابن السني ، رقم ١٧٦ ، والحاكم في « المستدرك » ١/٥٣٩ ، وإسناده ضعيف .

الفصل الثاني والخمسون

في الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش قال : كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فخَدِرت رجله ، فقال له رجل : اذكر أحب الناس اليك ، فذكر محمداً ، فكأنما نشط من عقال[1] .

وعن مجاهد رحمه الله قال : خدرت رِجْلُ رَجُلٍ عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال : اذكر أحب الناس إليك ، فقال : محمد ، ﷺ ، فذهب خدره[2] .

الفصل الثالث والخمسون

في الدابة اذا عثرت

عن أبي المليح عن رجل قال : كنت رديف النبي ﷺ ، فعثرت دابته ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال : « لا تقل : تَعِسَ الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ، ولكن قل : بسم الله ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب »[3] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ١٦٦ ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ١٦٥ ، وإسناده ضعيف جداً .

(٣) رواه أبو داود رقم ٤٩٨٣ في الأدب ، باب لا يقال : خبثت نفسي ، وإسناده حسن .

الفصل الرابع والخمسون

فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ، ماذا يقول ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أُهدِيتْ لرسول الله ﷺ شاةٌ فقال : « اقسميها »[1] ، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول : ما قالوا ؟ تقول الخادم : قالوا : بارك الله فيكم ، تقول عائشة رضي الله عنها : وفيهم بارك الله ، نرد عليهم مثل ما قالوا ، ويبقى أجرنا لنا[2] . وقد روى عنها في الصدقة مثل ذلك .

الفصل الخامس والخمسون

فيمن أميط عنه أذى

عن أبي أيوب رضي الله عنه ، أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى ، فقال رسول الله ﷺ : « مسح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره ». وفي لفظ آخر : « لا يكن بك السوء يا أبا أيوب »[3] .

وعن عمر رضي الله عنه ، أنه أخذ عن رجل شيئاً ، فقال الرجل : صرف الله عنك السوء ، فقال عمر رضي الله عنه : صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا ، ولكن إذا أخذ عنك شيئاً فقل : أخذت يداك خيراً »[4] .

---

(١) في النسخ المطبوعة : اقتسميها ، والتصحيح من « عمل اليوم والليلة » لابن السني .

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٢٧٣ ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه ابن السني رقم ٢٧٦ و ٢٧٧ ، وإسنادهما ضعيف .

(٤) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٢٧٨ من حديث محمد بن =

الفصل السادس والخمسون

في رؤية باكورة الثمرة

قال أبو هريرة رضي الله عنه : كان الناس إذا رأوا الثمر جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فقال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدِّنا » ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان . رواه مسلم [1] .

الفصل السابع والخمسون

في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى : (ولَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله) [الكهف : ٣٩] .

وقال النبي ﷺ : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » حديث صحيح [2] .

ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رأى أحدكم ما يعجبه في

= كليب عن حسان بن إبراهيم عن عبد الله بن بكر الباهلي قال : أخذ عمر عن لحية رجل ... الحديث ، وفي السند انقطاع ، خلافاً لما قال الأستاذ الألباني في « الكلم الطيب » : حديث موقوف جيد الإسناد .

(١) رقم ١٣٧٣ في الحج ، باب فضل المدينة .

(٢) رواه أحمد ، ومسلم رقم ٢١٨٨ في الطب ، باب الطب والمرض والرقى .

نفسه أو ماله فليبرّك عليه ، فإن العين حق »[1] .

ويذكر عنه ﷺ أنه قال : « من رأى شيئاً فأعجبه فليقل : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله »[2] .

ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال : « اللهم بارك لنا فيه ولا تضره »[3] .

وقال أبو سعيد : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان ، وعين الإنسان ، حتى نزلت المعوّذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ماسواهما . قال الترمذي : حديث حسن ، ورواه ابن ماجه في « سننه »[4] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٢٠١ ، وأحمد في « المسند» ٤٨٦/٣ ، والحاكم في « المستدرك » ٤١١/٣ و ٤١٢ ، من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، وأصله في « الصحيحين » ، ورواه أيضاً بمعناه ابن السني رقم ٢٠٢ وأحمد ٤٤٧/٣ من حديث عامر بن ربيعة .

(٢) رواه ابن السني رقم ٢٠٣ وفي سنده أبو بكر الهذلي ، وهو متروك كما قال الحافظ في « التقريب » .

(٣) إسناده ضعيف ، رواه ابن السني رقم ٢٠٤ من حديث حزام بن حكيم ابن حزام ، وهو مرسل ، فإن حزام بن حكيم تابعي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، ووقع في الأذكار للنووي والجامع الصغير للسيوطي « سعيد بن حكيم » — لا « سعيد بن حزام » كما قال الأستاذ الألباني في « الكلم الطيب » — وسعيد بن حكيم هو سعيد بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري البصري أخو بهز ، وهو ممن عاصر صغار التابعين .

(٤) رواه الترمذي رقم ٢٠٥٩ في الطب ، باب الرقية بالمعوذتين ، والنسائي =

الفصل الثامن والخمسون

في الفأل والطيرة

قال النبي ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ، [و]أصدقها الفأل » قيل : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الحسنة يسمعها الرجل »[1] .

وكان النبي ﷺ يعجبه الفأل .

كما كان في سفر الهجرة فلقيهم رجل فقال : « ما اسمك » ؟ قال بريدة . قال « برد أمرنا »[2] .

= ٢٧١/٨ وابن ماجه رقم ٣٥١١ في الطب ، باب من استرقى من العين ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(١) رواه البخاري ١٠/١٨١ و ٢٠٦ في الطب ، باب الفأل ، ومسلم ٢٢٢٤ في السلام ، باب الطيرة والفأل من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهما .

(٢) ذكره الزرقاني في شرح « المواهب اللدنية » ١/٤٠٥ ونسبه للبيهقي من حديث بريدة بن الحصيب قال : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي ﷺ ، حملني الطمع ، فركبت في سبعين من بني سهم ، فلقيته ، فقال : من أنت ؟ قلت : بريدة ، فالتفت ﷺ إلى أبي بكر وقال : « برد أمرنا وصلح » ثم قال : « ممن أنت » ؟ قلت : من أسلم ، قال : « سلمنا » ، ثم قال : « ممن » ؟ قلت : من بني سهم ، قال : « خرج سهمك يا أبا بكر » فقال بريدة للنبي ﷺ : من أنت ؟ قال : « أنا محمد بن عبد الله رسول الله » فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فأسلم بريدة ، وأسلم من كان معه جميعاً . قال بريدة : الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ، فلما أصبح بريدة قال : يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ، فحمل عمامته ثم شدها في رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة » . نقول : ولم نجده في الصحاح ، كما ذكر المصنف رحمه الله .

وقال ﷺ : « رأيت في منامي ، كأني في دار عقبة بن رافع ، وأتينا من رطب ابن طاب ، فأوَّلتها الرفعةَ لنا في الدنيا ، والعاقبة لنا في الآخرة ، وأن ديننا قد طاب »[1] .

وأما الطيرة . فقال معاوية بن الحكم ، قلت : يا رسول الله ، منا رجال يتطيرون . قال : « ذلك شيء تجدونه في صدوركم فلا يصدنكم »[2] وهذه الأحاديث في « الصحاح »[3] .

وعن عروة[4] بن عامر قال : سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة فقال : « أصدقها الفأل ،ولا تردُّ مسلماً ، وإذا رأيتم من الطيرة شيئاً تكرهونه ، فقولوا : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »[5] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/٢١٣ و ٢٨٦ ، ومسلم رقم ٢٢٧٠ في الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ، وأبو داود رقم ٥٠٢٥ في الأدب ، باب في الرؤيا من حديث نس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم رقم ٥٣٧ في المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، في جملة حديث طويل .

(٣) ماعدا حديث « برد أمرنا » فانا لم نجده في الصحاح .

(٤) في النسخ المطبوعة : عقبة ، والتصحيح من « سنن أبي داود » .

(٥) رواه أبو داود رقم ٣٧١٩ في الطب ، باب في الطيرة ، وإسناده ضعيف ، وعروة بن عامر ، قال الحافظ : مختلف في صحبته ، روى عن النبي ﷺ مرسلًا في الطيرة .

الفصل التاسع والخمسون

في الحمام

يذكر عن أبي هريرة أنه قال : « نعم البيت الحمَّام يدخله المسلم ، إذا دخله سأل الله الجنة ، واستعاذ به من النار »[1] .

الفصل الستون

في الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

في « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث »[2] . وزاد سعيد بن منصور « بسم الله »[3] .

---

(١) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم ٣٠ من حديث إسماعيل ابن عياش عن يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب عن أبيه ، وإسناده ضعيف جداً .

(٢) رواه البخاري ١/٢١٢ في الوضوء ، باب ما يقول عند الخلاء ، ومسلم رقم ٣٧٥ في الحيض ، باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » : وقد روى العمري هذا الحديث من طريق عبد العزيز بن المختار عن عبد العزيز بن صهيب بلفظ الأمر قال : « إذا دخلتم الخلاء فقولوا : بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » وإسناده على شرط مسلم ، وفيه زيادة التسمية ، ولم أرها في غير هذه الرواية . نقول : وقول « بسم الله » عند دخول الخلاء ، جاء في حديث علي وأنس رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هـذه الحشوش محتضرة ، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث »[1] .

وفي « سنن ابن ماجه » عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قـال : « لا يعجز أحدكم إذا دخل موقعـه أن يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم »[2] .

وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سِتر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول : بسم الله »[3] .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال : « غفرانك » رواه الإمام أحمد وأهل السنن[4] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣٦٩/٤ و ٣٧٣ ، وأبو داود رقم ٦ في الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، وإسناده صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه رقم ٢٩٩ في الطهارة ، باب ما يقول الرجـل إذا دخل الخلاء ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يقوى بها ، انظر « شرح الأذكار » لابن علان ٣٨٥/١ .

(٣) رواه الترمذي رقم ٦٠٦ في الصلاة ، باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ، وابن ماجه رقم ٢٩٧ في الطهارة ، باب ما يقول إذا دخل الخلاء ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ليس إسناده بذاك القوي . نقول : ولكن للحديث شواهد يقوى بها .

(٤) رواه أحمد ٢٦٩/١ ، وأبو داود رقم ٣٠ في الطهارة ، باب ما يقول إذا =

وفي « سنن ابن ماجه » عن أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال : « الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني »[1].

الفصل الحادي والستون

في الذكر عند إرادة الوضوء

ثبت في النسائي عنه ﷺ أنه وضع يده في الجفنة وقال : « توضأ بسم الله »[2].

= خرج من الخلاء ، وابن ماجه رقم ٣٠٠ في الطهارة ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ، والدارمي ١/١٧٤ في الطهارة ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ، والحاكم ١/١٥٨ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال .

(١) رواه ابن ماجه رقم ٣٠١ في الطهارة ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء ، وإسناده ضعيف ، ورواه ابن السني من حديث أبي ذر موقوفاً في « عمل اليوم والليلة » رقم ٢١ ، وإسناده ضعيف أيضاً . وقال الحافظ في « تخريج الأذكار » كما في ابن علان ١/٤٠٥ : وحديث أبي ذر حسن ، وقال : وجاء عن أنس حديث آخر يأتي في شواهد حديث ابن عمر ، ثم قال : وله ولحديث أبي ذر شاهد من حديث حذيفة وأبي الدرداء ، أخرجه ابن أبي شيبة عنهما موقوفاً بلفظ حديث أبي ذر .

(٢) لم نجده عند النسائي ، ولعله في « الكبرى » ، قال ابن علان في « شرح الأذكار » ٢ / ٥ : قال النووي في « الخلاصة » : عن ثابت عن أنس قال : نظر أصحاب رسول الله ﷺ وضوءاً فلم يجدوا ، فقال رسول الله ﷺ : هاهنا وضوء ، فرأيت النبي ﷺ وضع يده في الإناء الذي فيه الماء فقال : « توضؤوا بسم الله ... » الحديث ، ثم قال : رواه البيهقي بإسناد جيد ، وقال : هذا أصح ما في الباب ، قال : وكذا رواه النسائي بإسناد جيد كما « شرح الروض » ، وانظر تتمة كلام ابن علان عليه .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل، وفيه : « يا جابر نادِ بوضوءٍ » فقلت : ألا وَضوء ؟ ألا وَضوء ؟ [ألا وَضُوء ؟] وفيه فقال : « خذ ياجابر فصب عليّ وقل : بسم الله » فصببت عليه ،وقلت: بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ [1] .

وفي « المسند » و « السنن » من حديث سعيد بن زيد [2] عن النبي ﷺ : « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » [3] .

قال البخاري : هذا أحسن شيء في هذا الباب .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » رواه الإمام أحمد وأبو داود [4] .

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم ٣٠١٣ في الزهد ، في حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر .

(٢) في النسخ المطبوعة : سعد بن زيد ، وهو خطأ .

(٣) لم يروه الإمام أحمد من حديث سعيد بن زيد ، وإنما رواه الترمذي رقم ٢٥ في الطهارة ، باب ما جاء في التسمية عند الوضوء ، وإسناده ضعيف ، وفي الباب أحاديث لا تخلو من مقال ، قال المنذري في « الترغيب والترهيب » : ولا شك أن الأحاديث التي وردت فيها وإن كان لا يسلم شيء منها عن مقال ، فإنها تتعاضد بكثرة طرقه ، وتكتسب قوة ، والله أعلم . نقول : وقد جاء نحو هذا الكلام عن العز بن جماعة والحافظ ابن حجر كما في « شرح الأذكار » لابن علان ١٥/٢ .

(٤) رواه أحمد « في المسند » ٤١٨/٢ وأبو داود رقم ١٠١ في الطهارة ، باب التسمية على الوضوء ، وإسناده ضعيف ، ولكن يقوى بشواهده ، منها الذي قبله والذي بعده .

وفي « المسند » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »[1].

الفصل الثاني والستون
في الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم في « صحيحه » عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلغ - أو فيُسبغ - الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء »[2].

وزاد فيه الترمذي بعد ذكر الشهادتين « اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »[3].

وفي بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد « فأحسن الوضوء ثم رفع نظره إلى السماء فقال ... » وذكره[4].

وفي لفظ للإمام أحمد « فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات : أشهد

(١) رواه أحمد ٤١/٣ وهو حديث حسن بالشواهد التي قبله .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٣٤ في الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٣) رواه الترمذي رقم ٥٥ في الطهارة ، باب ما يقال عند الوضوء ، وهي زيادة صحيحة بشواهدها ، انظر « شرح الأذكار » لابن علان ١٩/٢ .

(٤) رواه أبو داود رقم ١٧٠ في الطهارة ، باب ما يقول الرجل إذا توضأ ، وأحمد في « المسند » ١٥١/٤ وإسناده ضعيف .

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » .

وفي « سنن النسائي » عن أبي سعيد الخدري قال : من توضأ ففرغ من وضوئه وقال : سبحانك اللهم ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، طبع عليها بطابع ، ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة . هكذا رواه من قول أبي سعيد رضي الله عنه [١] .

وأما الأذكار التي يقولها العامة على الوضوء عند كل وضوء [٢] فلا أصل لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة ، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ .

الفصل الثالث والستون
في ذكر صلاة الجنازة

في « صحيح مسلم » عن عوف بن مالك قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول : « اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسِّع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه ،

---

(١) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » موقوفاً على أبي سعيد الخدري ، ومن رفعه فقد أخطأ ، والصواب موقوف . وانظر « شرح الأذكار » لابن علان ٢٠/٣ و ٢١ وما قاله الحافظ في تخريجه .

(٢) لعله يريد : عند كل عضو .

وأدخله الجنة ، وأعـذه من عذاب القبر » قال : حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ، لدعـاء رسول الله ﷺ . وفي لفظ : « وقه فتنة القبر وعذاب النار »[1] .

وفي « سنن أبي داود » عن أبي هريرة قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال : « اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا ، فأحيه على الإسلام ، ومن توفَّيته منا فتوفه على الإيمـان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده »[2] .

وفي « سنن أبي داود » أيضاً عن واثلة بن الأسقع قال : صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول : « اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحمد ، اللهم فاغفر له وارحمه ، إنك أنت الغفور الرحيم »[3] .

وسأل مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصـلي على

---

(١) رواه مسلم رقم ٩٦٣ في الجنائز ، باب الدعاء للميت في الصلاة .

(٢) رواه أبو داود رقم ٣٢٠١ في الجنائز ، باب الدعاء للميت ، وأحمـد في « المسند » ٣٦٨/٢ ؛ وابن ماجه رقم ١٤٩٨ في الجنائز ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه أبو داود رقم ٣٢٠٢ في الجنائز ، باب الدعاء للميت ؛ ورواه أيضاً ابن ماجه رقم ١٤٩٩ في الجنائز ، وإسناده حسن .

الجنازة ؟ قال : « اللهم أنت ربُّها ، وأنت خلقتَها ، وأنت هديتَها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء فاغفر له » رواه الإمام أحمد وأبو داود[1] .

الفصل الرابع والستون

في الذكر إذا قال هجراً أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من حلف منكم فقال في حلفه : واللَّات والعُزَّى ، فليقل : لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك ، فليتصدق »[2] .

فكل من حلف بغير الله فقد أشرك . حديث صحيح .

فهذا كفارة ، لأن النبي ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » حديث صحيح[3] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/٢٥٦ و ٣٤٥ و ٣٦٣ و ٤٥٩ ، وأبو داود ٣٢٠٠ في الجنائز ، باب الدعاء للميت ، ورواه أيضاً الطبراني في الدعاء ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » كما في ابن علان ٤/١٧٦ .

(٢) رواه البخاري ٨ / ٤٧١ في تفسير سورة النجم ، باب (أفرأيتم اللات والعزى) ومسلم رقم ١٦٤٧ في الأيمان ، باب من حلف باللات والعزى ، وأبو داود رقم ٣٢٤٧ في الأيمان ، باب الحلف بالأنداد ، والترمذي رقم ٥٤٥ في الأيمان باب رقم ١٧ ، والنسائي ٧/٧ في الأيمان ، باب الحلف باللات .

(٣) رواه أبو داود رقم ٣٢٥١ في الأيمان ، باب في كراهية الحلف بالآباء ،=

وكفارة الشرك : التوحيد ، وهو كلمة « لا إله إلا الله » . ومن قال : تعال أقامرك ، فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل ، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار ، وهو إخراج المال بحق في مواضعه وهو الصدقة .

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه : حلفتُ باللّاتِ والعُزَّى – وكان العهد قريباً – فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « قد قلتَ هُجْراً[1] ، قل: لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وانفث عن يسارك سبعاً[2] ، ولا تَعُدْ »[3] .

الفصل الخامس والستون

فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبي ﷺ : أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول : « اللهم اغفر لنا وله » ذكره البيهقي في « الدعوات الكبير »

= والترمذي رقم ١٥٣٥ في الأيمان ، باب رقم ٨ ، وأحمد في « المسند » رقم ٣٢٩ و ٤٩٠٤ ، والحاكم ١/ ١٨ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الترمذي ، وهو حديث صحيح .

(١) جملة « قد قلت هجراً » ليست من قول رسول الله ﷺ ، وإنما هي من قول الصحابة لسعد .

(٢) الذي عند أحمد والنسائي : وانفث عن يسارك ثلاثاً .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/١٨٣ و ١٨٦ ، والنسائي ٧/ ٧ و ٨ في الأيمان ، باب الحلف باللات والعزى ، وإسناده حسن .

وقال : في إسناده ضعف . وهذه المسألة فيها قولان للعلماء ـ هما روايتان عن الإمام أحمد ـ وهما : هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب ، أم لا بد من إعلامه وتحليله ؟ والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه ، بل يكفيه الاستغفار وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها . وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره . والذين قالوا : لا بد من إعلامه ، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه ، فإن شاء أخذها ، وإن شاء تصدق بها .

وأما في الغيبة ، فلا يمكن ذلك ، ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ ، فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمي به ، ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبداً ، وما كان هذا سبيله ، فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه ، فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها، لا على تحصيلها وتكميلها ، والله تعالى أعلم.

الفصل السادس والستون

فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

في « الصحيحين » عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قال : « إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك ، فادعوا الله وكبِّروا وتصدقوا »[1] .

(١) رواه البخاري ٢/٤٥١ في صلاة الكسوف ، باب لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته ، ومسلم ٩٠١ في الكسوف ، باب صلاة الكسوف .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الرحمن بن سمرة قال : بينا أنا أرمي بأسهم لي في حياة رسول الله ﷺ ، إذ كسفت الشمس ، فنبذتهن وقلت : لأنظرنَّ ما حدث لرسول الله ﷺ في كسوف الشمس اليوم ، فانتهيت إليه وهو رافع يديه يسبح ويحمد ويهلل ويدعو ، حتى حسر عن الشمس ، فقرأ بسورتين وركع ركعتين[1] .

والنبي ﷺ أمر في الكسوف بالصلاة ، والعتاقة ، والمبادرة إلى ذكر الله تعالى ، والصدقة ، فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء .

الفصل السابع والستون

فيا يقول من ضاع له شيء ويدعو به

ذكر علي بن العيني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئاً : قل : اللهم رب الضالة ، هادي الضالة ، تهدي من الضلالة ، رد عليَّ ضالتي بقدرتك وسلطانك ، فإنها من عطائك وفضلك .

وفي وجه آخر : سئل ابن عمر رضى الله عنه عن الضالة فقال : يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يتشهد ، ثم يقول : اللهم رادَّ الضالة ، هادي الضلالة ، تهدي من الضلال ، ردَّ عليَّ ضالتي بعزك وسلطانك ، فإنها من فضلك وعطائك . قال البيهقي : هذا موقوف ، وهو حسن[2] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٩١٣ في الكسوف ، باب صلاة الكسوف .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠ / ١٣٣ مرفوعاً وقال : رواه =

وقد قيل : إن من ضاع له شيء فقال : ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه رُدَّ عليَّ ضالتي ، ردها الله تعالى عليه .

الفصل الثامن والستون

في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو [1] قال : رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه . رواه أبو داود [2] ،

وروت يُسَيرة [3] إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات » [4] .

= الطبراني في الثلاثة ، وفيه عبد الرحمن يعقوب بن أبي عباد ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

(١) في النسخ المطبوعة : عبد الله بن عمر ، والتصحيح من ابي داود والترمذي والحاكم وغيرهم .

(٢) رقم ١٥٠٢ في الصلاة ، باب التسبيح بالحصى ، عن عبد الله بن عمرو ، وأخرجه أيضاً الترمذي ٣٤٠٨ ، والحاكم ٥٤٧/١ وصححه الذهبي ، وهو كما قال ، وليس عند الترمذي والحاكم قوله : بيمينه .

(٣) قال الحافظ في « التقريب » : يسيرة ، ويقال : أسيرة ، بألف : أم ياسر ، صحابية من الأنصار .

(٤) رواه أبو داود رقم ١٥٠١ في الصلاة ، باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم ٣٥٧٧ في الدعوات ، باب رقم ١٣١ ، والحاكم ٥٤٧/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن .

الفصل التاسع والستون

في أحب الكلام الى الله عز وجل بعد القرآن

ثبت في « صحيح مسلم » عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع ، لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

وفي وجه آخر « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » . وفي أثر آخر « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده »[1] .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[2] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لأن أقول : « سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس »[3] .

---

(١) رواه مسلم ٢١٣٧ في الآداب ، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة .

(٢) رواه البخاري ١١/١٧٥ في الدعوات ، باب فضل التسبيح ، ومسلم رقم ٢٦٩٤ في الذكر ، باب فضل التسبيح والتهليل .

(٣) رواه مسلم ٢٦٩٥ في الذكر ، باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء .

الفصل السبعون

في الذكر المضاعف

في « صحيح مسلم » عن جويرية أم المؤمنين أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ، ثم رجع بعدما أضحى وهي جالسة ، فقال : « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها » ؟ قالت : نعم . فقال النبي ﷺ : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته »[1] .

وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأةٍ وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل » فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، سبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » . رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن[2] .

---

(١) رواه مسلم رقم ٢٧٢٦ في الذكر ، باب التسبيح أول النهار .

(٢) رواه أبو داود رقم ١٥٠٠ في الصلاة ، باب التسبيح بالحصى ، والترمذي رقم ٣٥٦٣ في الدعوات ، باب دعاء النبي ﷺ وتعوذه في دبر كل صلاة ، والحاكم ١/٥٤٨ وصححه الذهبي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وحديث جويرية الذي قبله عند مسلم ليس فيه ذكر الحصى .

الفصل الحادي والسبعون

فيما يقال لمن حصل له وحشة

روينا في « معجم الطبراني » عن البراء بن عازب أن رجلاً اشتكى إلى رسول الله ﷺ الوحشة ، فقال : « قل : سبحان الله الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت » فقالها الرجل ، فأذهب الله عنه الوحشة[1] .

الفصل الثاني والسبعون

في الذكر الذي يقوله أو يقال له اذا لبس ثوباً جديداً

عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سماه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامة يقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »[2] .

قال أبو نضرة : وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى أحدهم على

---

(١) ذكره النووي في « الأذكار » من رواية ابن السني ، قال ابن علان في « شرح الأذكار » : قال الحافظ بعد تخريجه : هذا حديث غريب وسنده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم ٤٠٢٠ في اللباس ، في فاتحته ، والترمذي رقم ١٧٦٧ في اللباس ، باب ما يقول : إذا لبس ثوباً جديداً ، وهو حديث حسن ، حسنه الحافظ فى « تخريج الأذكار » كما في ابن علان ، ورواه ابن حبان رقم ١٤٤٢ « موارد » ، والحاكم ١٩٢/٤ وصححه ووافقه الذهبي .

صاحبه ثوباً قال : تبلي ويخلف الله تعالى . ذكره البيهقي .

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس ثوباً فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[1] .

الفصل الثالث والسبعون

فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهيل[2] بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فبدا له الفجر قال : « سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذاً بالله من النار » يقول ذلك ثلاث مرات ، ويرفع بها صوته . هذا إسناد صحيح على شرط مسلم[3] .

---

(١) رواه ابن السني هكذا مختصراً رقم ٢٦٦ في « عمل اليوم والليلة » ، وليس عنده « وما تأخر » . وهو جزء من حديث طويل رواه أبو داود رقم ٤٠٢٣ في اللباس ، في فاتحته ، وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » كما في ابن علان ١/٣٠٠ و ٣٠١ ، ورواه أيضاً الحاكم ١/٥٠٧ وصححه ووافقه الذهبي ، وليس عنده « وما تأخر » لا في الطعام ، ولا في اللباس .

(٢) في النسخ المطبوعة : سهل ، والتصحيح من «صحيح مسلم» .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٧١٨ في الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، وليس عنده في آخره : « يقول ذلك ثلاث مرات ، ويرفع بها صوته » .

الفصل الرابع والسبعون

في التسليم للقضاء والقدر، بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [آل عمران : ١٥٦]. فنهى سبحانه عباده أن يتشبَّهوا بالقائلين: لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه.

وقال النبي ﷺ: « وإياك واللو، فإن اللوَّ تفتح عمل الشيطان »[١].

وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجِزْ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم[٢].

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقال النبي ﷺ: « إن الله

---

(١) رقم ٢٦٦٤ في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز. ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٣٦٦.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/٣٦٦ من حديث أبي هريرة وإسناده حسن وهو جزء من الحديث الذي بعده. قال الحافظ في « الفتح » ١٣ / ١٩٢ في التمني، باب ما يجوز من اللو: كذا وقع عند بعض رواة مسلم: « إياك واللو، فإن اللو من الشيطان ». والمحفوظ: إياك ولو.

يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل : حسبي الله ونعم الوكيل »[1] فنهى النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه ، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه ، فإن أعجزه القضاء قال : حسبي الله ، فإذا قال : حسبي الله بعد تعاطي ما أمره من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول ، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها ، قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل ، فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به .

الفصل الخامس والسبعون

في جوامع من أدعية النبي ﷺ وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة : كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدَع ما بين ذلك[2] .

وفي « المسند » والنسائي وغيرهما : أن سعداً سمع ابناً له يقول : اللهم إني أسألك الجنة وغرفها[3] وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها ، فقال سعد رضي الله عنه : لقد سألت الله خيراً كثيراً ،

---

(١) رواه أبو داود رقم ٣٦٢٧ في الأقضية ، باب الرجل يحلف على حقه ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٦/١٤٨ و١٨٩ ، وأبو داود رقم ٢٤٨٢ ، وإسناده صحيح .

(٣) في « المسند » و « سنن أبي داود » : إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها ، وفي رواية في « المسند » : أسألك الجنة ونعيمها وإستبرقها .

وتعوَّذْتَ من شرٍّ كثير ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيكون قوم يعتدون في الدعاء » وبحسبك أن تقول : اللهم إني أسألك من الخير كلِّه ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كلِّه ما علمت منه وما لم أعلم » [1] .

وفي « مسند الإمام أحمد » ، و « سنن النسائي » عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبي ﷺ : « رب أعنِّي ولا تعن عليَّ ، وانصرني ولا تنصر عليَّ ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ ، وانصرني على من بغى عليَّ ، رب اجعلني لك شكَّاراً ، لك ذكَّاراً ، لك رهَّاباً ، لك مخبتاً ، إليك أوَّاها منيباً ـ رب تقبَّـل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبِّت حجتي ، واهد قلبي ، وسدِّد لساني ، واسلل سخيمة قلبي » . هذا حديث صحيح ورواه الترمذي وحسنه وصححه [2] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » رقم ١٤٨٣ ورقم ١٥٨٤ ولم نجده في « سنن النسائي » ، ولعله في « الكبرى » ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ١٤٨٠ في الصلاة ، باب الدعاء ، وفي سنـــده جهالة . نقول : ولكن للفقرة الثانية من الحديث : « سيكون قوم يعتدون في الدعاء » شاهد عند أحمد ٥/٨٦ و ٨٧ من حديث عبد الله ابن مغفل ، فهو حديث حسن ، وللفقرة الأخيرة وهي قوله : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم » شاهد عند ابن ماجه من حديث عائشة ، وعند الطبراني من حديث سمرة بن جندب ، فهو حديث صحيح .

(٢) وهو كما قال ، رواه أحمد في « المسند » ١/٢٢٧ ولم نجده عند النسائي ولعله في « الكبرى » ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ١٥١٠ في الصلاة ، باب ما يقول الرجل إذا سلم ، والترمذي رقم ٣٥٤٦ في الدعوات ، باب من أدعية النبي ﷺ وابن حبان رقم ٢٤١٤ « موارد » .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك قال : كنت أخدم النبي ﷺ ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع[1] الدين ، وغلبة الرجال »[2].

وفي « صحيح مسلم » عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل ، والهرم وعذاب القبر ، اللهم آتِ نفسي تقواها ، [و] زكِّها أنت خير من زكاها ، إنك[3] وليُّها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها »[4].

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم » فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟

---

(١) الضلع بفتح الضاد واللام : الثقل .

(٢) رواه البخاري ٦/٦٤ في الجهاد ، باب من غزا بصبي للخدمة ، ومسلم رقم ٢٧٠٦ في الذكر ، باب التعوذ من الضجر والكسل .

(٣) في نسخ مسلم المطبوعة : « أنت »

(٤) رواه مسلم رقم ٢٧٢٢ في الذكر ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، وفيه تقديم وتأخير في آخره في الدعاء .

قال : « إن الرجل إذا غرم ، حدَّث فكذب ، ووعد فأخلف »[1].

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتَحوُّلِ عافيتك ، ومن فُجاءة نقمتك ، ومن جميع سخطك »[2].

وفي الترمذي عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر ما أسأل ؟ قال : « قولي : اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني » قال الترمذي : صحيح[3].

وفي « مسند الإمام أحمد » عن أبي بكر الصديق ، عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكم بالصدق ، فإنه مع البر وهما في الجنة ، وإياكم والكذب ، فإنه مع الفجور وهما في النار ، وسلوا الله المعافاة ، فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيراً من المعافاة »[4].

وفي « صحيح الحاكم » عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : « ما سئل الله عز وجل شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية »[5].

---

(١) رواه البخاري ٢٦٣/٢ و ٢٦٤ في صفة الصلاة ، باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم رقم ٥٨٩ في المساجد ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

(٢) رواه مسلم رقم ٢٧٣٩ في الذكر ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء .

(٣) وهو كما قال ، رواه الترمذي رقم ٢٥٠٨ في الدعوات ، باب رقم ٨٩ .

(٤) رواه أحمد في « المسند » رقم ٥ و ١٠ و ١٧ ، وإسناده صحيح ، ورواه ابن حبان في « صحيحه » رقم ٢٤٢٠ « موارد » .

(٥) ورواه أيضاً الترمذي رقم ٣٥٤٢ في الدعوات [illegible] =

وذكر الفريابي في كتاب « الذكر » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أي الدعاء أفضل ؟ قال : « تسأل الله العفو والعافية ، فإذا أعطيت ذلك فقد أفلحت »[1] .

وفي « الدعوات » للبيهقي عن معاذ بن جبل قال : مر رسول الله ﷺ برجل يقول : اللهم إني أسألك الصبر ، قال : « سألت الله البلاء ، فسل العافيـة » ومر برجل يقول : اللهم إني أسألك تمام النعمة ؟ فقال : « وما تمام النعمة » ، قال : سألت وأنا أرجو الخير ، قـال له : « تمام النعمة الفوز من النار ، ودخول الجنة »[2] .

وفي « صحيـح مسلم » عن أبي مالك الأشجعي رضي الله تعـالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلِّم من أسلم أن يقول : « اللهم [اغفر لي ، و] اهدني ، وارزقني ، وعافني ، وارحمني »[3] .

= سنده عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ، وهو ضعيف . وقال الترمذي : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي ، وهو ضعيف في الحديث .

(١) ورواه أيضاً الترمذي رقم ٣٥٠٧ في الدعوات ، باب رقم ٨٩ ، وابن ماجه رقم ٣٨٤٨ في الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية ، وفي سنده سلمة بن وردان ، وهو ضعيف ، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي .

(٢) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٢٣١ و ٢٣٥ ، والترمذي رقم ٣٥٢٤ في الدعوات ، باب رقم ١٩ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(٣) رواه مسلم رقم ٢٦٩٧ في الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

وفي « المسند » عن بسر بن أرطأة[1] رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلّها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة »[2] .

وفي « المسند » و « صحيح الحاكم » عن ربيعة بن عامر عن النبي ﷺ : « ألظوا بياذا الجلال والإكرام »[3] . أي : الزموها وداوموا عليها .

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال لهم : « أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا في الدعاء » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : « قولوا : اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[4] .

وفي الترمذي وغيره : أن النبي ﷺ أوصى معاذاً أن يقولها في

---

(١) ويقال : ابن أبي أرطأة ، وهو أصوب . قال الحافظ في « التهذيب » : قال ابن حبان في الصحابة : من قال : ابن أرطأة ، فقد وهم .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١٨١/٤ ، ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » رقم ٢٤٢٤ « موارد » ، والطبراني في « الكبير » والحاكم ، وإسناده حسن على ما قيل في بسر بن أبي أرطأة . قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : وإسناد أحمد وأحد إسنادي الطبراني ثقات . وانظر ترجمة بسر في « الاصابة » و « التهذيب » .

(٣) إسناده صحيح ، رواه أحمد في « المسند » ١٧٧/٤ ، والحاكم ٤٩٩/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أيضاً الترمذي من حديث أنس .

(٤) رواه الحاكم ٤٩٩/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

دبر كل صلاة »[1] .

وفي « صحيحه » أيضاً[2] : عن أنس قال : كنا مع النبي ﷺ في حلقة ، ورجل قائم يصلي ، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، فقال النبي ﷺ : « لقد سأل الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[3] .

وفي « المسند » و « صحيح الحاكم » أيضاً ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله : « يا شداد ، إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة ، فاكنز هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب »[4] .

---

(١) ليس هو عند الترمذي ، وإنما الحديث عند أبي داود رقم ١٥٢٢ في الصلاة ، باب في الاستغفار ، والنسائي ٣/٥٣ في السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، وإسناده صحيح .

(٢) أي صحيح الحاكم .

(٣) رواه الحاكم ١/٥٠٣ و ٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ورواه أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي ، وإسناده صحيح .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرك » ١/٥٠٨ وصححه ، ووافقه الذهبي ، مع أن في سنده محمد بن سنان القزاز ، وهو ضعيف ، وقد تقدم الحديث في الصفحة ١٩٦ من طريق آخر رواه أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان ، وإسناده ضعيف أيضاً ، [illegible] يتقوى بالطريقين فيكون حسناً .

وفي الترمذي : أن حصين بن عبيد بن خلف [1] الخزاعي رضي الله عنه ، قال له النبي ﷺ : « كم تعبد إلٰها » ؟ قال : سبعةً : ستةً في الأرض ، وواحداً في السماء . قال : « فمن تعدُّ لرغبتك ورهبتك » ؟ قال : الذي في السماء . قال : « أما لو أسلمت لعلَّمتك كلمتين تنفعانك »، فلما أسلم قال : يا رسول الله ، علِّمني الكلمتين ، قال : قل : « اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي » حديث صحيح [2] .

وزاد الحاكم فيه في « صحيحه » : « اللهم قني شر نفسي ، واعزم لي على أرشد أمري ، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت ، وما أخطأت وما تعمَّدت ، ما علمت وما جهلت » وإسناده على شرط « الصحيحين » [3] .

وفي « صحيح الحاكم » : عن عائشة قالت : دخل عليَّ أبو بكر رضي الله عنهما فقال : هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاءً علَّمنيه ؟ قلت : ما هو ؟ قال : كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه ، قال : « لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً ، فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه : « اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمٰن الدنيا

---

(١) في النسخ المطبوعة : حصين بن المنذر الخزاعي وهو خطأ ، والتصحيح من « سنن الترمذي » وكتب الرجال ، وحصين هذا هو والد عمران بن حصين .

(٢) رواه الترمذي رقم ٣٤٧٩ في الدعوات ، باب رقم ٧٠ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

(٣) رواه الحاكم ١/٥١٠ [illegible] أحمد في « المسند » ٤/٤٤٤ وقال الحافظ [illegible]

والآخرة ورحيمهما ، أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك »[1] .

وفي « صحيحه » أيضاً عن أم سلمة عن النبي ﷺ : هذا ما سأل محمد ربه : « اللهم إني أسألك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وثبّتني ، وثقّل موازيني ، وحقق إيماني ، وارفع درجتي ، وتقبل [صلاتي ، واغفر خطيئتي ، وأسألك الدرجات العلى من الجنة ، اللهم إني أسألك فواتح] الخير وخواتمه [وجوامعه] ، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، والدرجات العلى من الجنة آمين ، اللهم إني أسألك خير ما آتي ، وخير ما أفعل ، وخير ما بطن ، وخير ما ظهر [والدرجات العلى من الجنة آمين] ، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري ، وتضع وزري ، وتصلح أمري ، وتطهر قلبي ، وتحصن فرجي ، وتنور لي قلبي ، وتغفر لي ذنبي ، و [أسألك الدرجات العلى من الجنة آمين ، اللهم إني] أسألك أن تبارك لي في نفسي ، وفي سمعي ، وفي بصري ، وفي روحي ، وفي خَلقي ، في خُلقي و[في] أهلي ، وفي محياي ، وفي مماتي ، وفي عملي ، وتقبل حسناتي ، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين »[2] .

---

(١) رواه الحاكم ١/٥١٥ وفي سنده الحكم بن عبد الله الأيلي ، قال الذهبي في « الميزان » : قال أحمد : أحاديثه كلها موضوعة ، وقال السعدي وأبو حاتم : كذاب ، وقال النسائي والدارقطني وجماعة : متروك الحديث .

(٢) رواه الحاكم ١/٥٢٠ وصححه ووافقه الذهبي ، مع أن في سنده عاصم بن =

وفي « صحيحه » أيضاً من حديث معاذ قال : أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ، ثم خرج ، فصلى بنا فخفف ، ثم [انصرف] فأقبل علينا بوجهه فقال : « على مكانكم ، أخبركم ما أبطأني عنكم اليوم ؟ إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله ، ثم ملكتني عيني فنمت ، فرأيت ربي تبارك وتعالى ، فألهمني أن قلت : اللهم إني أسألك الطيبات ، وفعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تتوب علي ، وتغفر لي وترحمني ، وإذا أردت في خلقك فتنة فنجني إليك منها غير مفتون ، اللهم وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني[1] إلى حبك » ثم أقبل رسول الله ﷺ فقال : « تعلّموهن وادرسوهن ، فإنهن حق »[2] ورواه الترمذي والطبراني وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أخر[3] .

= أبي عبيد ، ذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلًا ، والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن زنبور ، وعاصم بن أبي عبيد ، وهما ثقتان .

(١) في النسخ المطبوعة لهذا الكتاب : « يبلغني » .

(٢) رواه الحاكم ١/٥٢١ وسكت عنه هو والذهبي . نقول : وهو حديث حسن بشواهده ، وانظر التعليق الذي بعده .

(٣) رواه الترمذي رقم ٣٢٣٣ في التفسير ، باب ومن سورة ص ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٢٤٢ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً : عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ يدعو : « اللهم متعني[١] بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة لي بخير »[٢] .

وفيه عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وارزقني علماً ينفعني »[٣] .

وفيه أيضاً عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك من الخير كلّه عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ [وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ] ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً »[٤] .

وفيه عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له : « إني أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن ، وترغب إليه فيهن ، وتدعو بهن في الليل والنهار ، قل : اللهم إني أسألك صحة في إيمان ،

---

(١) لفظه في « المستدرك للحاكم » : « اللهم قنعني » .

(٢) رواه الحاكم ١/٥١٠ من حديث عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب ، وصححه ووافقه الذهبي . نقول : ورواية عمرو عن عطاء بعد الاختلاط .

(٣) رواه الحاكم ١/٥١٠ وصححه ووافقه الذهبي ، نقول : وإسناده ضعيف ، ولكن [illegible] ذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف أيضاً ، فهو [illegible]

[illegible] /٥٢٢ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

وإيماناً في حسن خلق ، ونجاحـــاً يتبعه فلاح ، ورحمة منك وعافية ، ومغفرة منك ورضواناً »[1] .

وفيه أيضاً : عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات : « اللهم أنت الأول لا شيء قبلك ، وأنت الآخر لا شيء بعدك ، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك ، وأعوذ بك من الإثم والكسل ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة الغنى ، ومن فتنة الفقر ، وأعوذ بك من المـأثم والمغرم ، اللهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم بعّد بيني وبين خطيئتي كما بعّدت بين المشرق والمغرب »[2] .

وفي « مسند الإمام أحمد » و « صحيح الحاكم » أيضاً ، عن عمار ابن ياسر رضي الله عنه ، أنه صلى صلاة أوجز فيها ، فقيل له في ذلك ، قال : لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني مـا علمت الحياة خيراً لي [وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي] ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى ، وأسألك القصـد في الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفـــد ، وأسألك قرة عين لا تنقطع ،

---

(١) رواه الحاكم ٥٢٣/١ وصححه ، وفي سنـده عبد الله بن الوليد بن قيس التجيبي البصري ، وهو لين الحديث كمـا قال الحافظ في « التقريب » .

(٢) رواه الحاكم ٥٢٤/١ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

وأسألك الرضى بعد القضـــاء ، وأسألك برد العيش بعـــد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهـك ، وأسألك الشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زيِّنَّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين »[1] .

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً : عن ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ : « اللهم إنا نسألك موجباتِ رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار »[2] .

وفيه أيضاً : عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو : « اللهم احفظني بالإسلام قائماً ، واحفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، ولا تشمت بي عدواً حاسداً ، اللهم إني أسألك من [كل] خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بك من [كل] شر خزائنه بيدك »[3] .

وعن النواس بن سمعان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه ، وإن شاءَ أزاغه ، وكان رسول الله ﷺ يقـــول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢٦٤/٤ ، والحاكم ٥٢٤/١ و ٥٢٥ وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أيضاً النسائي ٥٥/٣ في السهو ، باب الدعاء بعد الذكر وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الحاكم ٥٢٥/١ وصححه ووافقه الذهبي . نقول : وفي إسناده ضعف .

(٣) رواه الحاكم ٥٢٥/١ وصححه ، وهو حديث حسن .

والميزان بيد الرحمن عز وجل،يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة »
حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم في « صحيحه »[1].

وفي « صحيح الحاكم » أيضاً عن ابن عمر، أنه لم يكن يجلس مجلساً - كان عنده أحد أو لم يكن - إلا قال: « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك، وارزقني من اليقين ما تهون به عليَّ مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، اللهم اجعل ثأري على من ظلمني، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا مبلغ علمي، اللهم لا تسلط عليَّ من لا يرحمني ». فسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول الله ﷺ يختم بهن مجلسه[2].

★ ★ ★

والحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، ملء سمواته وملء أرضه، وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، حمداً لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى، عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غفَل عن ذكره الغافلون. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من بريته، وأمينه على

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١٨٢/٤ والحاكم ٥٢٥/١ وصححه ووافقه الذهبي. وهو كما قال.

(٢) رواه الحاكم ٥٢٨/١ وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، فاتح أبواب الهدى ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذي بعثه للإيمان منادياً ، وإلى الصراط المستقيم هادياً ، وإلى جنات النعيم داعياً ، وبكل المعروف آمراً ، وعن كل منكر ناهياً ، فأحيا به القلوب بعد مماتها ، وأنارها بعد ظلماتها ، وألف بينها بعد شتاتها ، فدعـــا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجاهد في الله تعالى حق جهاده ، حتى عبد الله وحده لا شريك له ، وسارت دعوته سيرة الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار ، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه ، وسلم تسليماً .



الفهرس

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
٢٣٠	الفصل الخامس والثلاثون في ذكر الرجوع من السفر
٢٣٠	الفصل السادس والثلاثون في الذكر على الدابة إذا استصعبت
٢٣١	« السابع والثلاثون في الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك
٢٣١	« الثامن والثلاثون في الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها
٢٣٢	« التاسع والثلاثون في ذكر المنزل يريد دخوله
٢٣٣	« الأربعون في ذكر الطعام والشراب
٢٣٦	« الحادي والأربعون في ذكر الضيف إذا نزل بقوم
٢٣٧	« الثاني والاربعون في السلام
٢٤٠	الفصل الثالث والاربعون في الذكر عند العطاس
٢٤١	« الرابع والاربعون في ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة
٢٤٣	« الخامس والاربعون في الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد
٢٤٦	« السادس والأربعون في صياح الديكة والنهيق والنباح
٢٤٦	الفصل السابع والاربعون في الذكر يطفأ به الحريق
٢٤٧	« الثامن والاربعون في كفارة المجلس
٢٤٨	« التاسع والاربعون فيما يقال ويفعل عند الغضب
٢٤٩	الفصل الخمسون فيما يقال عند رؤية أهل البلاء
٢٥٠	الفصل الحادي والخمسون في الذكر عند دخول السوق
٢٥١	« الثاني والخمسون في الرجل إذا خدرت رجله
٢٥١	« الثالث والخمسون في الدابة إذا عثرت
٢٥٢	« الرابع والخمسون فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له
٢٥٢	« الخامس والخمسون فيمن أميط عنه أذى
٢٥٣	« السادس والخمسون في رؤية باكورة الثمرة
٢٥٣	الفصل السابع والخمسون في الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين
٢٥٥	« الثامن والخمسون في الفأل والطيرة

الصفحة	الموضوع